مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول، ص1– ص133 يناير 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

الحرب النفسية في معركة الفرقان
ودور التربية الإسلامية في مواجهتها

أ.د. إسماعيل سعيد رضوان
أستاذ الحديث الشريف وعلومه– كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية –غزة

تمهيد:

الحمد لله وحده، صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أ ن محمدًا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتح الله به آذانًا صمًا، وأعينًا عميا، جاهد في الله حق جهاده حتى أذل الله به الكافرين.

أما بعد:

ما زالت الحرب النفسية على الإسلام وأهله قائمة مذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم، فانبرى أئمة الكفر يحاربون هذا الدين بكل ما أمكنهم من وسائل، بدءًا من الحرب بالكلمة، وانتهاءً بالسلاح، وهم في كل ذلك يستخدمون وسائل الحرب النفسية، غايتهم هي القضاء على الإسلام في مهده، ولكن الله لا يُغالب، **[وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]** {يوسف:21} ، فثبت الله نبيه صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، ونصر الله دينه وأهله.

وإذا كان الله كتب النصر لرسله وأوليائه، فإن من سننه سبحانه أن تبقى المدافعة بين أهل الحق والباطل **[وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ ا للهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ]** {البقرة:251} ، وعليه فمن الطبيعي أن يستمر الكيد للإسلام، والحرب عليه إلى زماننا هذا، وهذا هو الواقع حيث اجتمع على أهل هذه الملة جل أهل الأرض من مشرقها إلى مغربها، وكان من ذلك غزو بلاد المسلمين، وسلب أرضهم، واستباحة أموال هم وأعراضهم، ونحن نرى اليوم أرض فلسطين بما فيها المسجد الأقصى تئن تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الظالم، الذي ما زال يكيد لأهل هذه الأرض المسلمة، ويستغل ما يملك من قدرات لتثبيت سيطرته على هذه الأرض المقدسة، وكان آخر ذلك الحرب الإجرامية التي شنها على قطاعنا الح بيب –قطاع غزة– ، حيث استخدم إلى جانب المعدات العسكرية، والأسلحة الفتاكة، العديد من وسائل الحرب النفسية، والتي سنعرض لها في بحثنا هذا، كما سنبين بيانًا واضحًا الوسائل التي اتخذتها المقاومة في مواجهة هذه الحرب النفسية، إلى جانب بيان الأثر الكبير الذي تركته التربية الإيمانية والتي كان لها الدور الأساس في مواجهة هذه الحرب.

أهمية البحث وبواعث اختياره:

تكمن أهمية البحث في كونه يتعرض إلى الحرب النفسية، وهي أشد وأقوى أنواع الحروب تأثيرًا على نفسية الفرد، فهي تستهدف تحطيم القوى الإسلامية والروح المعنوية، وزعزعة الثقة في النفوس، ثم إن الحرب النفسية لا تقتصر على وقت معين، بل تكون في وقت السلم والحرب، وتكون قبل الحرب العسكرية، وفي أثنائها، وبعدها، فهي جزء رئيس من الحرب الشاملة ، هذا بالإضافة إلى ما توفره الحرب النفسية من خسائر متوقعة في الموارد البشرية والمادية فيها لو وقعت الحرب العسكرية، فهي تحقق الأهداف بأقل التكاليف.

ولأهمية هذا البحث، وكونه يتعلق بواقعنا الفلسطيني آثرت الكتابة فيه.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث للتعرف على الحرب النفسية في معركة الفرقان ودور التربية الإسلامية في مواجهتها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:-

1- ماهية الحرب النفسية ؟

2-أساليب ووسائل الحرب النفسية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟

3- أساليب ووسائل الحرب النفسية التي استخدمها الاحتلال الصهيوني في معركة الفرقان ؟

4- دور التربية الإسلامية في الحد من الحرب النفسية في معركة الفرقان ؟

منهج الدراسة:

سيعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، مع تخريج الأحاديث النبوية، وبيان مراتبها، وأسلوب تحليل محتواها.

محددات الدراسة :

سيتعرض الباحث إلى عينة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعلق بالحرب النفسية .

ماهية الحرب النفسية

أولًا: تعريف الحرب النفسية:

هناك عدة تعريفات للحرب النفسية في الاصطلاح، ويجدر بنا أن نذكر بعضها لعدم الإطالة:

عرفها لاينبا

رجر بقوله: "تطبيق لبعض أجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التي تُبْذَل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية"[1].

[1]- بول لاينبارجر، الحرب النفسية، ط1954 نقلا عن كتاب الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام) ص33.

وجاء في الموسوعة العسكرية : "هي مجموعة من الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو، بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد غير المقاتلين، بهدف خدمة أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب"[1].

وعرفها فخري الدباغ بأنها: "شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل الفرد والجماعة لغرض إحداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلهما فريسة لمخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الاستقلال أو الحياد أو الرفض ... إلخ. الحرب النفسية"[2].

ويميل الباحث إلى اعتماد هذا التعريف الأخير؛ لوضوحه، وهو أتمّ وأكمل، فقد بين فيه صاحبه نوعية الهجوم في الحرب النفسية، فهو هجوم مبرمج، وهذا يعني أن الحرب النفسية ليست هجومًا عشوائيًّا، كما بين من هو المستهدف به ذه الحرب، والغرض الذي من أجله تُشن الحرب النفسية، وبعض النتائج المرجوة من وراء هذا النوع من الحروب.

ثانيًا: نشأة الحرب النفسية:

لقد عَرَف الإنسان الحرب النفسية منذ القدم، بل نستطيع القول بأن الحرب النفسية موجودة بوجود الإنسان نفسه، غير أن وسائلها وتطبيقاتها تطورت بتقدم الزمان، أما من حيث الجوهر فإنها لم تختلف، فمفهوم الحرب النفسية ليس جديدًا في معرفته، وإنما في تسميته، ولو استعرضنا التاريخ لوجدناه مليئًا بالوقائع التي يمكن أن نلمس فيها الحرب النفسية، ولعل قصة ابني آدم تؤكد هذه الحقيقة، إذ استخدم أحدهما أسلوب التهديد والتخويف، قال تعالى: **[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]** {المائدة:27}.

وقد حكى الله في كتابه قصص بعض الأنبياء، وكيف كذبهم قومهم، واستخ دموا في مواجهتهم إلى جانب الإيذاء، بعض أساليب الحرب النفسية من تخويف، واستهزاء، وتشكيك، قال الله تعالى : **[وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ]** {الأنعام:10} ، وهذا فرعون يستخدم أسلوب الاستهزاء **[قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ]** {الشعراء:27} ، وأسلوب التخويف والتهديد: **[قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ]** {الشعراء:29} ، وقال للسحرة لما آمنوا : **[قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ**

---

[1]– الموسوعة العسكرية، 767/1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . 1981.

[2]– فخري الدباغ، ص3، الموسوعة الصغيرة، رقم 38، بغداد وزارة الثقافة 1979. عن أحمد نوفل ص34.

السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى] {طه:71}، ومن أساليب الحرب النفسية كذلك قتل القائد والزعماء، وقد حكى الله عن داود عليه السلام أنه قتل قائد العماليق جالوت، **[فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ]** {البقرة:251} ، والآيات في ذلك كثيرة تدل على أن الحرب النفسية نشأت بنشوء الإنسان، وأنها بقيت مستمرة باقية بقاء الإنسان نفسه.

ثالثًا: أهمية الحرب النفسية:

إذا كان للحرب العسكرية القدرة على التدمير، والتخريب، وتحويل بلد إلى خراب، فإن الحرب النفسية تدمر النفوس، وتحطم المعنويات، وتوقع الهزيمة النفسية قبل قيام الحرب العسكرية.

وتكتسب الحرب النفسية أهميتها من كونها لا تقتصر على وقت معين، بل تكون في وقت السلم والحرب، وتكون قبل الحرب العسكرية، وفي أثنائها، وبعدها، وهذا يدل على أن الحرب النفسية جزء رئيس من الحرب الشاملة.

وهذه بعض أقوال خبراء الحرب وعلم النفس، تبين مدى أهمية الحرب النفسية:

يقول تشرشل: "كثيرًا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ"[1]، ويقول ديغول: "لكي تنتصر دولة ما في حرب فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها"[2]. ويقول رومل : "إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم "[3]. ويقول اللواء جمال الدين محفوظ : "والواقع أن العلم العسكري وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة، ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة، وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات . والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب، لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه لكي تحطم روحه المعنوية، وتقضي على إرادة القتال فيه، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة. ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية، الذي أصبح في العصر الحديث يحتل مكان الصدارة بين أسلحة الحروب"[4].

---

[1]- انظر: الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام) ص29.

[2]- انظر: الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام) ص29.

[3]- انظر: الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام) ص29.

[4]- المدخل إلى العقيدة، والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، ص120، للواء جمال الدين محفوظ. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

وجاء في الموسوعة العسكرية : "والحرب النفسية مهمة جدًّا في الحروب التقليدية إلا أنها أكثر أهمية في الحروب الثورية نظرًا لأن العامل المعنوي يلعب دورًا رئيسيًّا في هذه الحرب، وهو العامل الذي يحقق التوازن بين قوة الثوار العسكرية المحدودة، والقوة المضادة الضخمة، وانتصار هذه الأخيرة في مجال الحرب النفسية كفيل، بتجريد الثوار من سلاح أساسي في أيديهم"[1].

ويقول زهران: "وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة، لأنها تقوم بالدور الفعال في قتل إرادة ومعنويات الخصم ". ويقول : "الحرب النفسية من أهم موضوعات الساعة، وهي أخطر أنواع الحروب"[2].

ويقول أحمد بدر: "وفي عصرنا الحاضر حيث العالم مقسم إلى معسكرات مسلحة بسلاح نووي فإن الحرب النفسية قد أصبح لها أبعاد جدي دة، فقد أصبحت بديلًا للعمل العسكري، والشكل الوحيد للحرب التي تستطيع الدول الكبرى أن تخوضها بالإضافة إلى الحروب المحدودة في دول العالم الثالث غالبًا"[3].

أهداف الحرب النفسية[4]:

تهدف الحرب النفسية إلى ما يلي:

- تحطيم معنويات الأعداء، وإضعاف روحهم المعنوية.
- رفع معنويات الجبهة الداخلية.
- إقناع الجبهة الداخلية بعدالة قضيتهم التي يناضلون من أجلها.
- بث اليأس في نفوس القوات المعادية، وزعزعة ثقتهم في إمكان إحراز النصر.
- إقناع العدو بأنه لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال.
- إحداث الفرقة بين صفوف الخصم.
- العمل على اكتساب صداقة المحايدين، أو تثبيتهم على موقفهم المحايد.

---

[1]- الموسوعة العسكرية ص767.

[2]- علم النفس الاجتماعي، حامد عبد السلام زهران، ص354، ط4، القاهرة، عالم الكتب، 1977.

[3]- الإعلام الدولي، ص306.

[4]- هذه الأهداف مستفادة من الكتب التالية:

-الإعلام الدولي، ص306-307.

-غسيل الدماغ لفخري الدباغ، ص180. دار الطليعة، بيروت، 1982م.

-علم النفس الاجتماعي، حامد زهران ص255، عالم الكتب، بيروت، 1977م.

-النظرية الإسلامية والحرب النفسية ص18، محمد جمال الدين محفوظ، دار الاعتصام، بيروت.

- تقوية وتمكين الصداقة مع الحلفاء في القتال.
- توجيه الرأي العام إلى وجهة معينة تتفق مع ما يقصده مصدر الحرب النفسية.
- زعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه، وتشكيكه في عدالة قضيته، التي يحاربمن أجلها.
- زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقادة.
- العمل على التفرقة بين العدو وحلفائه، ودفعهم إلى التخلي عن نصرته.

المبحث الأول: أساليب ووسائل الحرب النفسية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الدِّعَاية

الدِّعَايَة في اللغة تعني الدَّعْوَة[1]، فكلمة دِعَايَة مُشْتقّة من الفعل دَعَا يَدْعُو، نحو : شَكَا يَشْكُو شِكَايَةً، والدعاية هي : "الدعوة إلى مذهب أو رأي، بالكتابة أو بالخطابة ونحوهما "[2]، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الدعاية في رسائله إلى الملوك ومن ذلك:

1-عن أبي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ -وَكَانُوا تِجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ [3] فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ- فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ ... فذكر الحديث وفيه أن هرقل: دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ... الحديث[4].

قال ابن منظور : "وفي كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْل : "أَدْعُوكَ بِدِعايةِ الإسْلام، أَي : بِدَعْوَتِه"[5].

---

[1]- انظر: لسان العرب لابن منظور 2 / 1386.

[2]- المعجم الوسيط 1 / 287.

[3]- مادّ، أي: جعل بينه وبينه مدة صلح. فتح الباري لابن حجر 186/1.

[4]- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ح 7.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ.

تخريج الحديث : أخرجه البخاري من طريق صالح بن كيسا ن(كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي الناس، ح 2723) وأخرجه البخاري(كتاب تفسير القرآن، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا، ح 4188) ومسلم (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل، ح 3322) من طريق معمر كلاهما عن ابن شهاب الزهري به.

[5]- لسان العرب لابن منظور 2 / 1386.

وأما الدعاية في الاصطلاح فهي : "الاستخدام المخطط لأي نوع من وسائل الإعلام، بقصد التأثير في عقول وعواطف جماعة معادية مُعَيَّنَة، أو جماعة محايدة، أو ج ماعة صديقة أجنبية، لغرض استراتيجيّ، أو تكتيكيّ مُعَيّن"[1].

وتُعَرَّف الدعاية أيضا بأنها : "نشر معلومات وَفْق اتجاه مُعَيَّن، مِن جانب فرد أو جماعة، في محاولة منظّمة للتأثير في الرأي العام وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات، باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير"[2].

الدعاية من أعظم أساليب الحرب النفسية خطرًا، ومن أشدها تأثيرًا، وهي تحظى بالدور الأساسي في الحرب النفسية، فالدعاية تستهدف التأثير على آراء الناس وأفكارهم ومواقفهم، وربما تضمنت الدعاية أسلوبًا آخر من أساليب الحرب النفسية، فربما تضمنت إشاعةً، أو خد اعًا، وقد يُقصد بها التشكيك أو السّخرية، ثم إنه ما من أسلوب من أساليب الحرب النفسية يُستَغلّ في الدعاية إلا وهي تزيده قوة إلى قوة، ولذلك اكتسبت الدعاية تلك الأهمية، وصارت ركيزة أساسيّة في الحرب النفسية.

والدعاية تركز على العاطفة والعقل جميعًا، لكن ذلك قد لا يكون على حد سواء، فقد يَغْلِب على الخطاب الجانبُ العقلي أو العاطفي بحسب ما تقتضيه الحال، وطبيعة الدعاية، ومن تُوَجَّه إليهم.

وقد تكون الدعاية حقيقة أو إشاعة مكذوبة، وقد تُوَجَّه إلى الأصدقاء أو المحايدين لكسب تأييدهم، ونصرتهم، أو إلى الأعداء من باب الحرب النفسية عليهم.

"والدعاية تنقسم إلى شقين رئيسين : شق إيجابي، وشق سلبي .. فالشق الإيجابي : هو أن يكون هدف رجل الدعاية إحداث تغيير في سلوك الموجه إليه، وهو تغيير ما كان ليحدث لولا الحملة الدعائية .. أما الشق السلبي فهدفه الحيلولة دون وقوع تغيير ما متوقع الحدو ث، ما لم توجه هذه الحملة"[3].

وقد كان للدعاية نصيب الأسد في الحرب النفسية التي شَنَّها الكفار على الإسلام، فاستخدموا الدعاية التشكيكية، فشككوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : **[وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ]** {النحل:103}، وكذلك قالوا: هو مجنون، فجاء الرد من الله تبارك وتعالى : **[وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ]** {التَّكوير:22} ، وقالوا: هو شاعر، فرد الله عليهم: **[وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ]** {الحاقَّة:41} ، وقالوا هو

---

[1]- علم النفس الاجتماعي حامد زهران ص358.

[2]- انظر: أسس علم النفس الاجتماعي ص278.

[3]- الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام-) ص85.

ساحر: **[وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ]** {ص:4}، **[وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا]** {الفرقان:8} فتعقب الله افتراءاتهم بقوله: **[انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا]** {الفرقان:9}.

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم : انظر كيف ضربوا لك هذه الأمثال، من قولهم: ساحر، مسحور، مجنون، كذاب، شاعر؛ ليتوصلوا إلى تكذي بك، فضلوا عن سبيل الحق، وعن بلوغ ما أرادوا، فهم مهما حاولوا فإنهم لن يجدوا سبيلًا يستطيعون به تصحيح ما قالوا فيك، فكل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك[1].

2- عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد ح ضر الموسم، فقال: يا معشر إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجتمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضًا، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال : بل أنتم؛ قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزَمْزَمَة [2] الكاهن وسجعه[3]، فقالوا: مِقْوَل[4] مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تَخَالُجَه [5]، ولا وسوسته، فقالوا : نقول: شاعر، فقال ما هو بشاعر قد ع رفنا الشعر برَجَزِه [6] وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا : فنقول: ساحر، قال: ما هو ساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجنا، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا : ساحر: فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة، وفي ذلك من قوله: **[ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا]** {المدَّثر:11} إلى قوله: **[سَأُصْلِيهِ سَقَرَ]** {المدَّثر:26} ،

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (13 / 6)، وتفسير ابن كثير (10 / 287).

[2]- الزَّمْزَمَة: صوت خفي لا يكاد يُفهم. النهاية في غريب الحديث (2 / 313).

[3]- السَّجْع: الكلام المُقَفَّى. لسان العرب (3 / 1944).

[4]- مِقْوَل: قال ابن منظور: يُقال للرجل إنه لَمِقْوَل إذا كان بَيِّناً ظَرِيفَ اللسان. لسان العرب (5 / 3778).

[5]- الخَلْج: الجَذْب والنَّزْع. النهاية في غريب الحديث (2 / 59).

[6]- الرَّجَز: بحر من بحور الشعر معروف، ونوع من أنواعه، يكون كل مِصْراع منه مفردًا. النهاية في غريب الحديث (2 / 199).

وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه يصنفون له القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من عند الله تعالى : **[الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ]** {الحجر:91} أي أصنافًا، **[فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]** {الحجر:92} أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها[1].

هكذا اجتمع الكفار ليتوافقوا على دعاية واحدة يواجهون بها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يتناقضوا ولا يُكَذّب بعضهم بعضًا، فاتفقوا في آخر الأمر على أن يُشِيعوا بأنه ساحر.

وبقيت الدعاية أسلوبًا أساسيًا في حرب الكفار على الإسلام، فقد استخدموا الدعاية لإظهار قوتهم، وإخافة المسلمين، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج ليعترض طريق قافلة قريش، خرجت قريش لتمنعها منه، فلما نجت القافلة أرسل أبو سفيان إلى قومه أن ارجعوا، فأبى أبو جهل الرجوع، يريد بذلك إظهار قوة قريش، والحفاظ على هيبتها بين قبائل العرب.

---

[1]– السيرة النبوية لابن إسحاق 193/1.

إسناده: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة عن ابن عباس.

تخريجه: أخرجه البيهقي (دلائل النبوة للبيهقي 2/ 199) من طريق ابن إسحاق به.

وأخرجه الحاكم بنحوه مختصرًا (المستدرك على الصحيحين 2/ 506) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّنْعَانِيُّ بِمَكَّةَ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنْبَأَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَ يُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَعَلَيْهِ الْقُرْآنَ..

ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي(دلائل النبوة 2/ 198).

دراسة رجال الإسناد:

–محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت الأنصاري . ذكره البخاري، وأبو حاتم، ولم يتكلما فيه بجرح ولا تعديل (التاريخ الكبير 1 / 225، والجرح والتعديل 8 / 88)، وذكره ابن حبان في الثقات (7 / 392)، وقال الذهبي في الكاشف : "وُثّق" (2 / 215)، وقال في الميزان : "لا يُعرف" (ميزان الاعتدال 6 / 321)، وقال ابن حجر : "مجهول" تقريب التهذيب (ص894)، قال الباحث: هو مجهول، لم يرو عنه غير ابن إسحاق.

الحكم على الحديث:

إسناده ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد، لكن الحديث له طريق أخرى عند الحاكم كما تقدم في التخر يج، ورجالها ثقات غير شيخ الحاكم –محمد بن علي الصنعاني– لم أقف ترجمته، غير أن الحاكم صحح حديثه، وهذا يفيد أنه ثقة عنده، وفيه إسحاق بن إبراهيم، إما أن يكون الحنظلي المعروف بابن راهويه، وإما أن يكون الدبري – فقد أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص446–447) من طريق محمد بن علي الصنعاني، وفيه تصريح بأن شيخه هو الدبري–، والأول إمام ثقة، والثاني صدوق، فأقل أحوال إسناد الحاكم أن يكون حسنًا.

3- عن عروة بن الزبير قال: ..... لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نَجَّاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا -وكان بدر مَوْسِمًا من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام- فنقيم عليه ثلاثًا، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب؛ فلا يزالون يهابوننا أبدًا[1].

لقد أرادها أبو جهل دعايةً، لإظهار قوة قريش، وإخافة المسلمين، ومن يليهم من القبائل، ومن ثم الحفاظ على هيبة قريش بين القبائل، **[اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ]**{فاطر :43}، لكنْ أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، فأهلك الله صناديد قريش، وهُزموا شر هزيمة، **[وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ]** {فاطر :43}.

ومن الدعايات التي أثارها الكفار في حربهم ضد الإسلام تلك الدعاية الخبيثة التي طاف بها اليهود بين المسلمين في المدينة، يريدون منعهم من الإنفاق في سبيل الله.

4- عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: وَكَانَ كَرْدَمُ بْنُ زَيْدٍ -حَلِيفَ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ-، وَأُسَامَةُ بْنُ حَبِيبٍ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، وَبَحْرُ بْنُ عَمْرٍو، وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ يَأْتُونَ رِجَالا مِنَ الأَنْصَارِ،

---

[1]- تاريخ الطبري 2 / 27-29.

إسناده: حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 20) من طريق هشام بن عروة، عن عروة به بمعناه.

رجال الإسناد:

-ابن حميد: هو محمد بن حميد الرازي حافظ ضعيف، كما قال ابن حجر (تقريب التهذيب ص839).

- سلمة: هو ابن الفضل الأبرش قاضي الريّ. وهو صدوق كثير الخطأ، لكما قال ابن حجر (تقريب التهذيب ص401)، إلا أنه ثبت في ابن إسحاق، فقد قال فيه جرير الضبي : "ليس من لَدُن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة بن الفضل " (انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 169/4)، كما أنه قوي في المغازي، نص على ذلك الذهبي (سير أعلام النبلاء 9 / 50).

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف مرسل، لكن له طريق أخرى تقدمت في التخريج، رجالها ثقات إلا أنها مرسلة .

وللحديث شاهد عن عباد بن عبد الله بن الزبير مرسلًا، ورجاله ثقات، وله شاهد آخر عن قتادة مرسلًا، ورجاله ثقات، غير أن فيه سعيد بن أبي عروبة اختلط، لكن الراوي عنه يزيد بن زريع، وهو ممن روى عنه قبل اختلاطه كما ذكر ذلك ابن حبان في الثقات (6/ 360).

وللحديث شاهد ثالث عن مجاهد مرسلًا (تفسير مجاهد 1 / 264).

وبمجموع هذه المراسيل يرتقي الحديث إلى الحسن لغيره.

يُخَالِطُونَهُمْ وَيَنْصَحُونَ لَهُمْ – مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ– ، فَيَقُولُونَ: لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ فِي ذَهَابِهَا، وَلا تُسَارِعُوا فِي النَّفَقَةِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا يَكُونُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً[1].

لقد كان بين الأنصار من أوس وخزرج وبين اليهود حلف ومودة في الجاهلية، فاستغل اليهود هذه المودة في التأثير عليهم، فمشوا بينهم بدعاية مفادها أن إنفاق أموالهم في سبيل الله ستكون نتيجته الفقر، هذا مع أنهم لا يدرون ما يكون أينتصر الإسلام أم ستذهب أموالهم سدى، وهم بهذه الدعاية يظهرون النصح لهم، لكن الله سبحانه كشف حقيقة أمرهم وبَيَّن ضلالهم، وأنهم إنما يريدون بهذه الدعاية إضلال المؤمنين، وهذا ديدنهم في كل زمان ومكان.

ومن دعايات الكفار أيضاً، الدعاية التي جاء بها عروة بن مسعود يوم الحديبية، عندما أرسلته قريش لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم.

5– عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ... فذكرا الحديث، وفيه أن قريشًا أرسلت عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه فكان مما قال له: إِنَّهَا قُرَيْشٌ، قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ [2]، قَدْ

---

[1]– تفسير ابن أبي حاتم 3/ 964.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أَنْبَأَ أَبُو غَسَّانَ، ثنا سَلَمَةُ بن الفضل، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تفسير الطبري 353/8)، عن ابن حميد، عن سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فذكره.

دراسة رجال الإسناد:

–أبو غسان: هو محمد بن عمرو بن بكر الرازي، المعروف بزنيج.

–سلمة بن الفضل الأبرش صدوق كثير الخطأ، لكنه من أتقن الناس في ابن إسحاق، كما تقدم في ترجمته. انظر حاشية حديث رقم (3)

–محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، مجهول، تقدمت ترجمته. انظر حاشية حديث رقم (2)

–باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث:

إسناده ضعيف؛ لجهالة محمد بن أبي محمد، وهو مرسل.

[2]– العُوذ المَطَافِيل: النِّساء والصِّبْيان. النهاية في غريب الحديث 318/3.

لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ [1]، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ أَنْ لَا تَدْ خُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً [2] أَبَدًا، وَأَيْمُ اللَّهِ لَكَأَنِّي بِهَؤُلَاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا ... الحديث[3].

جاء عروة بن مسعود بهذه الدعاية، وهي أنّ قريشًا لبسوا جلود النمور يكني بذلك عن شدة حقدهم وغضبهم أو شدة عداوتهم، خرجوا ومعهم النساء والأطفال فلا تراجع، بل عاهدوا الله على ألا يدخلها عليهم رغمًا عنهم.

لقد أراد عروة بهذه الدعاية تعظيم قوةِ قريش، والتأكيد على تصميمها على صدهم عن البيت الحرام بأي ثمن، لقد أراد بها إخافة المسلمين، وإدخال الرعب في قلوبهم.

ومن الدعايات التي استخدمها الكفار ضد المسلمين، تلك الإشاعة التي أشاعوها في عمرة القضية، إذ ادَّعَوا أن المسلمين مرضى، قد أصابتهم حمى يثرب.

6- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَ رْمُلُوا[4] الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ[5].

لما رأى المشركون المسلمين يريدون دخول مكة، وشعروا بعزة المسلمين، أشاع المشركون هذه الدعاية يريدون بها رفع معنوياتهم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم خيب آمالهم، وأمر المسلمين بالهرولة لتَظهر قُوتُهم، وأنهم ليسوا مرضى كما ادعوا.

---

[1]- لبسوا جلود النمور : كناية على شدة الحقد والغضب، تشبيها بأخلاق النمور، وقيل : هو مثل يكنى به عن إظهار العداوة والتنكير، ويقال للرجل الذي يظهر العداوة لبس لي جلد نمر . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 5 /82.

[2]- عَنْوة: أي قهراً وغلبة. النهاية في غريب الحديث 315/3.

[3]- مسند أحمد 31 / 212.

إسناده: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ - مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ- ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ح 2734)، وأبو داود (كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، حديث ح2765) من طريق معمر، عن الزهري به، ولم يذكر البخاري خبر مقتل عثمان.

[4]- الرمل: الهرولة. مقاييس اللغة 2 / 442.

[5]- أخرجه البخاري (صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، ح 1602)، ومسلم (صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف، ح1266)، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

الدعاية في الإسلام:

تقدم أن الدعاية والدعوة في اللغة بمعنى واحد، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم لفظ الدعاية في رسائله إلى الملوك بمعناه اللغوي.

أما من حيث الاصطلاح فقد اختلف علماء الاتصال في التفريق بين الدعوة والدعاية ، فمنهم من رأى وجود فرق بينهما[1]، بينما يرجح بعضهم ألا فرق بينهما.

يقول إبراهيم إمام : "الحق أن الدعاية تنتهز فرصة إعداد النشء ونقل التراث القومي من جيل إلى جيل، وتكوين شخصية المواطن وتربيته جسميًّا وعقليًّا وروحيًّا لكي تُرسّب في نفوس التلاميذ والشباب ما تريد أن تُرسّبه من معتقدات . وهكذا تستطيع الدعاية أن تُخضع الأفراد منذ نعومة أظفارهم لأغراضها، وتجعلهم أسرى لطائفة من الأفكار والشعارات والمعتقدات التي لا يستطيعون منها فكاكًا، وهي بذلك تقضي في كثير من الأحيان على صفاء الفطرة وسلامة الشخصية الإنسانية"[2].

ويقول سيد عليوة : "أما الدعاية فهي في الغالب تستخدم للترويج لوجهة نظر معينة، بغرض اكتساب الأنصار لها، وهي ليست إلا تسلطا على الأفراد بوصفهم أعضاء في مجتمع ابتغاء السيطرة على أفكارهم وأفعالهم، وتوجيهها وجهة معينة . ومن المعروف أن الدعاية لا تقول الحق دائما ولا تجري على وتيرة واحدة بل تتنوع، وقد تؤثر بطريقة لا شعورية، وقد تجري بالحديث وبالقدرة وضرب المثل الصالح ..."[3]، ويقول: "قصارى القول إن الدعاية ليست هي الدعوة، الأولى تخلق شحنة انفعالية، الثانية تسعى إلى المنطق الذاتي تخاطبه، الأولى لا تتردد في الكذب، الثا نية لا تخاطب إلا من تريد أن تحيله إلى مؤمن متعصب في إيمانه، الدعوة تسعى إلى الالتزام، ولكن الدعاية تفرض متابعة موضع التوجيه النفسي بإصرار واضطراد خوفا من اكتشاف التلاعب والإفلات من دائرة الحصار الفكري"[4].

ولما كانت الغاية من الدعاية الترويج لوجهة نظر صاحب الدعاية، وإقناع المستهدف بما تُنَظِّر له الدعاية، عن طريق الاستهواء، والتسلط على عقول الأفراد المستهدفين من قِبَل الدعاية، دون أن

---

[1]- أمثال عبد اللطيف حمزة، في كتابه : الإعلام في صدر الإسلام ص 104-108، دار الفكر العربي القاهرة، وإبراهيم إمام، وسيد عليوة، كما سيأتي النقل عنهما.

[2]- أصول الإعلام الإسلامي ص29. إبراهيم إمام، دار الفكر العربي القاهرة.

[3]- استراتيجية الإعلام العربي سيد عليوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2. 1990م. ص172.

[4]- المرجع السابق نفسه ص173.

يراعَى فيها أن تكون مبنية على الصدق والوضوح في الوسيلة، فهي لا تتردد في الكذب، أي أنه يُستخدم فيها أي وسيلة ما دامت تؤدي إلى الهدف المطلوب، بالإضافة إلى أن الهدف نفسه قد لا يكون شريفًا؛ بينما الدعوة مبنية على الحق والوضوح، وصلاح الغاية والوسيلة، والإقناع بالحجة والبرهان، وموافقة الفطرة؛ لذلك كان التفريق بينهما أرجح – من حيث الاصطلاح– ، وعليه فالإسلام لا يحتاج إلى دعاية، فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما اعتمد أسلوب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى في هداية الناس، وإشهار مبادئ الإسلام، وتعبيد الناس لله، قال الله تعالى : **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا]**{الأحزاب:45–46}.

المطلب الثاني: الإشاعة

الإشاعة: "هي الترويج لخبر مُخْتَلَق لا أساس له من الواقع، أو تَعَمّد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوّهة لخبر معظمه صحيح، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو النوعي، تحقيقًا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، على نطاق دولة واحدة أو عدة دول، أو النطاق العالمي بأجمعه"[1].

والإشاعة من أخطر أسا ليب الحرب النفسية، والمتأمل في حقيقتها يدرك عظيم خطرها، وبالغ أثرها، فهي سلاح فتاك، بل من أشد الأسلحة تدميرًا، وأعظمها وقعًا وتأثيرًا، فهي داء عضال، وسُمٌّ قَتَّال، فكم حطمت من عظماء، وآذت من أبرياء، وفرقت من جماعات، وأفسدت من صداقات، ولرب شائعة أثارت فتنًا ورزايا، وحروبًا وبلايا، فكانت سببًا في هلاك أمة، أو اندحار جيش من الجيوش.

والذي يزيد من خطر الإشاعة وأهميتها في الحرب النفسية، هو أن غالبية الناس يميلون إلى تصديق أي شيء يسمعونه، ثم سرعان ما يقومون بنشره دون التحقق من صحته أو حتى مجرد التفكير في ذلك، بل إنهم عادة ما يزيدون على الخبر الذي يتناقلونه فيما بينهم، فتبدأ الإشاعة صغيرة ثم تكبر، ثم من كثرة ما يتناقلها الناس فيما بينهم ويرددونها تصبح حقيقة بل عقيدة يدافعون عنها، لا يتركون مجالاً لتكذيبها، ولا حتى مجرد التشكيك فيها.

وقد استخدم المشركون الإشاعة في حربهم على المسلمين، ومن ذلك إشاعتهم مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في أحد.

7– عن الزبير قال: لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة عن العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا

---

[1]– الرأي العام والحرب النفسية، ص114، لمختار التهامي، دار المعارف–القاهرة، 1982م.

ظهورنا للخيل، فأُتِينا من أدبارنا، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا وانكفأوا[1] علينا ... الحديث[2].

لا شك أن خطر هذه الإشاعة يمتد حتى يعم الجيش كله، فإن أي إشاعة في الحرب يكون موضوعها مقتل القائد تكون شديدة على نفوس الجند، فكيف إذا كان هذا القائد هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

لقد كانت نتيجة هذه الإشاعة هي إيقاع الهزيمة النفسية بالمسلمين، حتى قعدوا وألقوا أسلحتهم، والمعركة ما زالت مُسْتَعِرة.

8- عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع -أخو بني عدي بن النجار- قال: انتهى أنس بن النضر - وهو عم أنس بن مالك، وبه سمي أنسٌ أنساً- إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فما تضنون[3] بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل[4].

لقد كانت هذه الإشاعة شديدة الأثر على المسلمين، عظيمة الوقع في نفوسهم، حتى أصابتهم بالذهول، وأقعدتهم عن القتال، قعدوا كأنما ينتظرون الموت.

ومما يُبيِّن شدة أثر هذه الإشاعة في نفوسهم، أنها لما تم دحضها نهض المسلمون من جديد.

---

[1]- انكفأ: أي مال ورجع. النهاية في غريب الحديث 4/ 183.

[2]- السيرة النبوية لابن إسحاق 336/1.

إسناده: نا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري(تاريخ الطبري 2 / 64)، و(تفسير الطبري 7 / 284)، والحاكم (المستدرك 3 / 27) - ومن طريقه البيهقي(دلائل النبوة 3 / 227)- من طريق ابن إسحاق به.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، وحسن إسناده ابن حجر (فتح الباري 11/ 391).

[3]- تضنون: تبخلون. النهاية في غريب الحديث 3/ 104، وعند الطبري، والبيهقي (تصنعون) ولعلها أصوب (انظر: تفسير الطبري 7/ 256، ودلائل النبوة 3/ 245).

[4]- (السيرة النبوية لابن إسحاق 338/1-339)

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (التفسير 7/ 256)، والبيهقي (دلائل النبوة 3/ 245) من طريق ابن إسحاق به.

الحكم على الحديث : الحديث مرسل، والقاسم بن عبد الرحمن بن رافع : ذكره أبو حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً (الجرح والتعديل 7 / 113). ولكن أصل الحديث في صحيح البخاري (انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى من المؤمنين رجال، ح2805).

9- قال محمد بن إسحاق: كان أول من عَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة، وقول الناس قُتِل رسول الله، كما حدثني ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك – أخو بني سلمة- قال قال كعب : عرفت عينيه تزهران [1] من تحت المغفر [2]، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليّ أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب ... الحديث[3].

لقد تم التصدي لهذه الإشاعة – التي كان لها بالغ الأثر في نفوس المسلمين- ، بكشف كذبها، وإعلان زيفها، فعادت إلى المسلمين روحهم المعنوية، ونهضوا كأنما نشطوا من عقال.

ومن الإشاعات المغرضة التي أشاعها المشركون ضد المسلمين هو تلك الفرية التي افتروها لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لأداء عمرة القضية، وخرج معه المسلمون الذين خرجوا معه في عمرة الحديبية ، فلما نزل مر الظهران أشاع بعض المشركين أن المسلمين قد وهنتهم حمى يثرب، وأنهم لا يستطيعون القيام من شدة الضعف والمرض، فأشار الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحروا بعض الإبل ليأكلوا من لحمها ويشربوا من مرقها، فإذا ما دخلوا مكة، دخلوها وبهم قوة، وبذلك يدحضون هذه الإشاعة، ولكن كان للنبي صلى الله عليه وسلم رأي آخر.

10- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عُمْرَتِهِ؛ بَلَغَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَ لَّمَ أَنَّ قُرَيْشًا تَقُولُ : مَا يَتَبَاعَثُونَ مِنْ الْعَجَفِ [4]، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: لَوْ انْتَحَرْنَا مِنْ ظَهْرِنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهِ، وَحَسَوْنَا مِنْ مَرَقِهِ أَصْبَحْنَا غَدًا حِينَ نَدْخُلُ عَلَى الْقَوْمِ وَبِنَا جَمَامَةٌ [5]. قَالَ : "لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ اجْمَعُوا لِي مِنْ أَزْوَادِكُمْ "، فَجَمَعُوا لَهُ وَبَسَطُوا

---

[1]- يزْهَر: أي يُضيء. (غريب الحديث لابن قتيبة 1 / 490).

[2]- المِغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد (النهاية في غريب الحديث 4/ 374).

[3]- (السيرة النبوية لابن إسحاق 339/1).

إسناده: حدثني ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك –أخو بني سلمة- قال: قال كعب.

تخريج الحديث:

أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 67)، والطبراني (المعجم الأوسط 2 / 23)، والبيهقي (دلائل النبوة 3 / 237)

الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

[4]- انْبَعَثَ فلانٌ لشأْنه إذا ثار ومَضَى ذاهبًا لقضاء حاجَته . لسان العرب (1 / 307)، والعَجَف: الهُزالُ. لسان العرب (4 / 2820)، والمعنى: لا يستطيعون القيام لقضاء حوائجهم من شدة الضعف الحاصل بالجوع والمرض .

[5]- جَمامَة: أي راحة وشِبَع وريّ. لسان العرب (687/1).

الْأَنْطَاعَ[1]، فَأَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا، وَحَثَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي جِرَابِهِ [2]، ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَ خَلَ الْمَسْجِدَ، وَقَعَدَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ الْحِجْرِ، فَاضْطَبَعَ [3] بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ : "لَا يَرَى الْقَوْمُ فِيكُمْ غَمِيزَةً [4]"، فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ دَخَلَ حَتَّى إِذَا تَغَيَّبَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِي مَشَى إِلَى الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا يَرْضَوْنَ بِالْمَشْيِ إِنَّهُمْ لَيَنْقُزُونَ نَقْزَ [5] الظِّبَاءِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ فَكَانَتْ سُنَّةً[6].

وفي لفظ البخاري: فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَـأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْمُلُوا[7] الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ ...[8].

لقد كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في كشف زيف هذه الشائعة أقوى، إذ أمرهم أن يأكلوا مما معهم من زاد، ثم لما أصبحوا ودخلوا الحرم أخرج عضده اليمنى من داخل ردائه، وقال لهم: لا يرى القوم فيكم غميزة، يريد منهم أن يقتدوا به، ثم أخذ يهرول في الأشواط الثلاثة الأولى من الطواف، وفعل المسلمون مثله، فكان هذا الطواف بهذه السرعة مع كشف العضد إظهاراً لبأس

---

[1]– الأنْطاع: جمع النِّطَع، وهو المُتَّخَذ من الأديم، أراد بها السُّفَر. مرقاة المفاتيح (5/ 2105).

[2]– الجِراب: وعاء يحفظ فيه الزاد. المعجم الوسيط (1 / 114).

[3]– الاضطباع: هيئة تعين على إسراع المشي، بأن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على منكبه الأيسر، فيبدي منكبه الأيمن ويستر الأيسر. فتح الباري لابن حجر 3 / 472.

[4]– الغَميزةُ: العَيْبُ يقال: ما فيه غَميزةٌ أي: ليسَ فيه ما يُعابُ به (كتاب العين 4/ 386).

[5]– النَّقْز والنَّقَزانِ كالوَثْبِ والوَثَبانِ صُعُداً في مَكانٍ واحدٍ.(كتاب العين 5/ 91).

[6]– مسند أحمد 4 / 498.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي ابْنَ زَكَرِيَّا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْ لِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

تخريج الحديث: أخرجه ابن حبان (صحيح ابن حبان 9 / 120) من طريق يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان به بنحوه.

وأخرجه البخاري (صحيح البخاري، كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، ح 1602)، ومسلم (صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف، ح1266)، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس به مختصراً.

دراسة رجال الإسناد: رجاله ثقات غير إسماعيل بن زكريا الخلقاني، فهو صدوق كما قال الذهبي وابن حجر، إلا أن ابن حجر زاد: يخطئ قليلًا (انظر: تقريب التهذيب ص 139، والكاشف للذهبي ص 246)، وقد تابعه يحيى بن سُليم عند ابن حبان، وهو صدوق سيء الحفظ كما قال ابن حجر (تقريب التهذيب ص1057)، فالحديث صحيح لغيره.

[7]– الرمل: الهرولة. مقاييس اللغة 2 / 442.

[8]– انظر تخريج الحديث السابق.

المسلمين وقوتهم، ودحضاً عملياً لتلك الشائعة التي أشاعها المشركون، وتبين لكل ذي عينين كذب هذه الإشاعة، حتى قال المشركون ما يرضون بالمشي إنهم لَيَنْقُزُون نَقْز الظِّباء.

ومن الإشاعات التي أشاعها المشركون كذلك إشاعة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج في العام السادس من الهجرة، ومعه سبعمائة رجل من الصحابة، يؤمون البيت الحرام، يريدون العمرة؛ نزل النبي صلى الله عليه وسلم قريبًا من الحرم، وأرسل عثمانَ رضي الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما يريد العمرة، وتعظيم البيت الحرام، فلحتبسته قريش عندها، وانتشرت شائعة مفادها أن عثمان قد قتل، ولعل ذلك كان من المشركين ليفحصوا نية النبي صلى الله عليه وسلم، وما سيكون عليه موقفه إذا هم منعوه من دخول الحرم والطواف بالبيت.

* عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً [1]، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعَ مِائَةِ رَجُلٍ..... فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ... قَالَ: فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ... الحديث[2].

لقد كان رد النبي صلى الله عليه وسلم حازماً صارماً، إذ أخذ البيعة من المسلمين على الموت – كما قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه [3]–، أو على ألا يفروا – كما قال جابر بن عبد الله[4]، ومعقل بن يسار[5] رضي الله عنهما–[6].

---

[1]– البَدَنة: الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسميت بدنة لعظمها . الحديث النهاية في غريب الحديث 1/ 108.

[2]– تقدم برقم (5).

[3]– أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، وقال بعضهم على الموت ، ح2960، ومسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش،ح1860.

[4]– أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، ح 1856.

[5]– أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، ح 1858.

[6]– قال ابن حجر : "لا تنافي بين قولهم : بايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار؛ لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد" (فتح الباري 6 / 118).

11- عن عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ لَا نَبْرَحُ حَتّى نُنَاجِزَ [1] الْقَوْمَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ إلَى الْبَيْعَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرّضْوَانِ تَحْتَ الشّجَرَةِ ، فَكَانَ النّاسُ يَقُولُونَ بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْمَوْتِ وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يُبَايِعْنَا عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرّ ... الحديث[2].

بهذا الرد، وبدلاً من أن ينشغل المسلمون بهذه الإشاعة، وينتشر القلق والبلبلة بين صفوفهم، وتضعف روحهم المعنوية، وتزداد ق ريش تعنتاً، كانت هذه البيعة التي رفعت الروح المعنوية في نفوس المؤمنين، وأوقعت الخوف في نفوس المشركين.

وكان نتيجة ذلك أن أرسل المشركون له من يفاوضه، حتى انتهوا إلى الهدنة وأن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العام القادم لأداء مناسك العمرة.

المطلب الثالث: الخداع

إن أسلوب الخداع من أهم أساليب الحرب النفسية، بل إنه أسلوب أساسي فيها، فبالخداع يتم إرهاب العدو، وتضليله، ومباغتته، فكم من حرب كان أساس الانتصار فيها هو الاعتماد على الخداع.

ولقد استخدم المشركون هذا الأسلوب في حربهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن أمثلة ذلك ما فعلته هوازن في حنين؛ إذ جعلوا النساء والصبيان والأنعام صفوفاً خلف الجيش؛ ليوهموا النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أن عددهم كثير.

12-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ هَوَازِنَ جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ وَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، فَجَعَلُوهَا صُفُوفًا يُكَثِّرُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا الْتَقَوْا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ – كَمَا قَالَ اللَّهُ– ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" ... الحديث[3].

---

[1]- نناجز القوم: أي نقاتلهم، قال الخليلي بن أحمد : المناجَزةُ في الحربِ: أن يتبارَزَ الفارِسانِ حتى يقتلُ أحدُهُما صاحبهُ. لثقاب العين 6/ 71.

[2]- انظر: السيرة النبوية لابن هشام 2/ 315.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري(تفسير الطبري 22/ 225) من طريق ابن إسحاق به.

الحكم على الحديث: عبد الله بن أبي بكر تابعي ثقة، والحديث مرسل.

[3]- مصنف ابن أبي شيبة (531/20).

إسناده: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

تخريج الحديث:

لقد كان لهذه الخدعة – على بساطتها– أثر كبير في نفوس المسلمين، ومن ثم في مجريات المعركة، لقد جاء المسلمون وفيهم من هو مُغْتَرٌّ بكثرة العدد الذي لم يجتمع للمسلمين مثله من قبل، فما أن التقوا جيشَ المشركين حتى فـروا، قال الله تعالى : **[وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ]** {التوبة:25} ، ولولا رحمة الله تعالى ثم ثبات النبي صلى الله عليه وسلم لنزلت بهم هزيمة منكرة، أشد مما كان يوم أحد.

من هذا الذي سبق يتبين لنا أهمية الخداع في الحرب، ولذلك أجازه الإسلام، "واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب، وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان، فلا يحل"[1].

قال الله تعالى : **[وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ]**{الأنفال:58}

يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان بينه وبين قوم عهداً، فظهر منهم أمارات الغدر والخيانة ولم يصرحوا بذلك، يأمره أن يلقي إليهم عهدهم، ويرده علي هم، ويُعلمَهم بأنه قد فسخ العهد الذي بينه وبينهم، حتى يصير هو وهم على سواء في العلم بأنه محارب لهم، فيأخذوا للحرب آلتها، ويبرأ هو من الخيانة، فالله لا يحب الخائنين، بل يبغضهم أشد البغض، حتى ولو في حق الكفار[2].

ولقد جاءت الأحاديث الكثيرة في التحذير من الغدر، وذم فاعليه، والوعيد عليه.

13– عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ[3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ"[4].

أخرجه مسلم من طريق السُّمَيْطُ بن عمير (كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، ح 1059)، وأبو داود الطيالسي (مسند أبي داود الطيالسي 3/ 552) من طريق إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، كلاهما عن أنس بن مالك به بنحوه.

دراسة رجال الإسناد: جميعهم ثقات، وعفان هو ابن مسلم الباهلى.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[1]– شرح صحيح مسلم للنووي 12 / 45.

[2]– انظر: تفسير الطبري 14 / 25، وتفسير ابن كثير 7 / 107، وتفسير السعدي ص324.

[3]– لواء: أي علامة يشهر بها في الناس. شرح صحيح مسلم للنووي 2 / 43.

[4]– صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ح1738.

إسناده: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا الْمُسْتَمِرُّ بْنُ الرَّيَّانِ، حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ.

تخريج الحديث:

لقد دل هذا الحديث على غلظ تحريم الغدر، وأن من عقوبة الغادر يوم القيامة أن ترفع له علامة بقدر غدره؛ كي يفضح أمام الخلائق، فالغدر قبيح محرم لا سيما في معاهدة العدو . "وقد يكون تعظيمه لغدر أمير العامة لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته وسلطانه على الوفاء، ك ما عظم في حقه الكذب"[1].

ولقد أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من استخدام أسلوب الخداع في الحرب، ومن ذلك الخداعِ اعتمادُه التَّوْرِيَة إذا أراد الغزو . حتى كان لا يغزو غزوة إلا ورى بغيرها، إلا لحاجة، والتورية في الحرب هي "أخذ العدو على غرة"[2].

14- قَالَ كَعْبُ بنُ مالكٍ : ... وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا ... الحديث[3].

ولقد جاءت السنة بأمثلة على تورية النبي صلى الله عليه وسلم منها أنه لما عزم على فتح مكة وجّه سريةً إلى بطن إضم بقيادة أبي قتادة، وذلك زيادة في تَعْمِيَة الأخبار عن أهل مكة، ولضمان تمام عامل المفاجأة والمباغتة.

15- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِضَمَ [4] فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنَا عَامِرٌ بن الأضبط الْأَشْجَعِيُّ ... الحديث[5].

تفرد به مسلم دون البخاري من حديث أبي سعيد، لكن أخرجه البخاري (كتاب الجزية، باب إثم الغادر، ح3188)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، ح1735)، من حديث ابن عمر.

[1]- انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم 41/6.

[2]- فتح الباري لابن حجر 6 / 113.

[3]- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ح 4418.

إسناده: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ح رقم 2948)، (ومسلم كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، ح رقم 2769) من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب.

دراسة رجال الإسناد: الليث: هو ابن سعد، وعقيل هو ابن خالد الأيلي.

[4]- إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة. (معجم البلدان 1 / 214).

[5]- السيرة النبوية لابن هشام 6 / 38.

إسناده: قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ

زاد الطبري في روايته لهذا الحديث: "فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم –وكانت قبل الفتح–"[1].

قال ابن سعد: "قالوا: لما هَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة؛ بعث أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ... ليَظُنّ ظَانٌّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية"[2].

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد غزو خيبر توجه نحو غطفان وكانوا حلفاء يهود خيبر.

16– قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر ... نزل بواد يقال له الرجيع، فنزل بينهم بين غطفان؛ ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر –وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم–. قال ابن إسحاق: فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة [3] سمعوا خلفهم في أموالاهم وأهليهم حِسًّا ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر[4].

لقد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الخدعة أكثر من هدف، أولها أنه خدع خيبر فباغتهم، وثانيها أنه أشغل غطفان بأنفسهم فلم يفزعوا لنصرة حلفائهم من يهود خيبر، فخلوا بينه وبينهم، وأيضا فقد قطع الطريق عليهم فلا يستطيعون إمدادهم لا بعدة ولا بعتاد.

تخريج الحديث:

أخرجه أحمد (مسند أحمد 39 / 310)، وابن أبي شيبة (مصنف ابن أبي شيبة 20 / 554)، والطبري (تاريخ الطبري 2 / 148) ، والبيهقي (السنن الكبرى 9 / 115) جميعهم من طريق ابن إسحاق به، وزاد الطبري : "فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم –وكانت قبل الفتح–".

دراسة رجال الإسناد:

الْقَعْقَاع بن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَد : رَوَى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، وذكره ابن حبان في الثقات 323/5، واختُلف في صحبته، ورجح ابن حجر عدم صحبته، وهو كما قال . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (5 / 554).

باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[1]– تاريخ الطبري 2 / 148.

[2]– الطبقات الكبرى 2 / 133.

[3]– المَنْقَلَة: المَرْحَلَة من مَراحِل السفر. لسان العرب (4530/6).

[4]– السيرة النبوية لابن هشام 4/ 299–300.

ومن الخداع الذي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في حربه مع المشركين التعريض أو المعاريض، والمعاريض "هي أن يتكلم الرجل بكلام جائز، يَقصِد به معنىً صحيحًا، ويَتوهم غيرُه أنه قصد به معنى آخر"[1].

ومن أمثلة ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم لما ركب هو وأبو بكر ليستطلع أخبار قريش، بعدما نزل بأصحابه قريبا من بدر.

17- قال ابن اسحاق : كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان : حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني؛ فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم-، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني؛ فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه قريش-، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن من ماء" ثم انصرف عنه، قال يقول: ما من ماء؟! أمن ماء العراق؟![2].

لقد سأل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم ممن أنتما، يعني بذلك من أي قبيلة، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم ممن ماء - تعريضاً- يقصد أنهما خُلِقَا من ماء كما قال الله : **[وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]** {الأنبياء:30}، وبهذه الخدعة حصل النبي صلى الله عليه وسلم على ما يريد من أخبار قريش، دون أن يكشف عن حقيقته هو ومن معه.

ولما كان للخداع هذا القدر، وهذه الأهمية في الحرب؛ فإن الإسلام لم يقتصر على إجازة ما هو من باب المعاريض والتمويه فقط، بل أجاز الكذب الصريح في الحرب إذا كان من با ب الخداع، ما دام لا يشتمل على نقض عهد، ولا إخلال بأمان.

18- عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ - وَكَانَتْ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

---

[1]- الفتاوى الكبرى 6 / 120.

[2]- السيرة النبوية لابن هشام 3 / 163.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2/ 26) من طريق ابن إسحاق به.

رجال الإسناد: رواه ابن إسحاق عن شيخه محمد بن يحيى بن حبان.

الحكم على الحديث: محمد بن يحيى بن حبان ثقة، والحديث مرسل.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: "لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا"، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الْحَرْبُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا[1].

ولقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للحجاج بن علاط رضي الله عنه أن يقول ما شاء، ليسترجع ماله من أهل مكة، ومقتضى ذلك أنه لو احتاج للكذب فلا جناح عليه.

19- عن أنس بن مالك قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله، إن لي بمكة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك، أو قلت شيئًا، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول ما شاء[2].

قال ابن العربي: "الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقًا بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالًا "[3]، وقال ابن حجر –بعد أن

---

[1]– صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، ح 2605.

إسناده: حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ أَخْبَرَتْهُ فذكره.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب الصلح، باب ليس الكذاب ال ذي يصلح بين الناس، ح 2692) من طريق صالح بن كيسان، ومسلم (في الموضع نفسه) من طريق معمر، كلاهما عن ابن شهاب به إلى قوله : "ونمى خيراً ولم يذكر ما بعده".

وأخرجه مسلم أيضا (في الموضع نفسه) من طريق صالح بن كيسان، عن ابن شهاب به، وفيه : غير أنها قالت: "وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ... الحديث"، فجعله من قول أم كلثوم بنت عقبة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الزيادة "ولم أسمعه يرخص..."، يُحتمل أن تكون من قول أم كلثوم بنت عقبة فتكون مرفوعة، أو من قول الزه ري فتكون مدرجة في الحديث، وقد رجح الدارقطني والخطيب البغدادي إدراجها . انظر: العلل للدارقطني 15/358-358، والفصل للوصل 1 / 272.

[2]– مصنف عبد الرزاق 5 / 466.

إسناده: عن معمر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك.

أخرجه أحمد (المسند 19/ 400) وعبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد 2/ 277) وابن حبان (10/ 390)، والنسائي(السنن الكبرى 8/ 37) وأبو يعلى(المسند 6/ 194) والطبراني (المعجم الكبير 3/ 220) والبيهقي (السنن الكبرى 9/ 150) جميعهم من طريق عبد الرزاق به.

الحكم على الحديث:

إسناده صحيح رواته ثقات.

[3]– انظر: فتح الباري لابن حجر 6 / 159.

نقل قول ابن العربي– : "ويُقَوِّيه ما أخرجه أحمد وابن حبان من حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط الذي أخرجه النسائي وصححه الحاكم في استئذانه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول عنه ما شاء لمصلحته في استخلاص ماله من أهل مكة، وأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، وإخباره لأهل مكة أن أهل خيبر هزموا المسلمين، وغير ذلك مما هو مشهور فيه"[1].

وقد طبق الصحابة ذلك تطبيقًا عمليًّا بإذنٍ من النبي صلى الله عليه وسلم وإقرارٍ منه، فإن بني قريظة لما خانوا العهد، وغدروا، ووقفوا إلى جانب الأحزاب، جاء نعيم بن مسعود رضي الله عنه مسلمًا، وقومه لا يعلمون بإسلامه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يُخذّل عن المسلمين.

20– عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال ... قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم، قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنّا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" ... الحديث[2].

لقد خدع نعيم بن سعود المشركين واليهود، بكذبة كذبها [3]، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بهذه الخدعة أعدم الثقة بين المشركين واليهود، فاختلفوا فيما بينهم، وتفرقت جماعتهم، ونصر الله نبيه، وأعزّ جنده.

تَبَيَّن لنا مما سبق أن تأثير الخداع في الحرب لا يقل أهمية عن تأثير السلاح، بل قد يكون تأثيره أعظم، وأكبر، بل إن الحروب تعتمد اعتمادًا أساسيًّا على الخداع، فلما كان الخداع لا يُستغنَى عنه في الحرب كان جائزًا في الإسلام لكن بضوابط، بينما يستخدمه الكفار دون ضابط ولا خلق، فهم لا يَتَنَزَّهُون عن قبيح الأخلاق من غدر وخيانة، لا في حرب ولا في سِلْم.

---

[1]– فتح الباري لابن حجر 6 / 159.

[2]– السيرة النبوية لابن هشام 4 / 187–188.

إسناده: قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد .

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 96) من طريق ابن إسحاق به.

دراسة رجال الاسناد: رجاله ثقات إلا أنه مرسل، إلا أن قوله صلى الله عليه وسلم : "الحرب خدعة" صحيح، فقد أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ح 3030)، ومسلم(كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب، ح1739) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (ومن حديث أبي هريرة وعلي).

[3]– سيأتي تفصيلها في مبحث زعزعة الثقة.

المطلب الرابع: المفاجأة والمباغتة

إن عنصر المفاجأة والمباغتة في الحرب يحدث اضطرابًا وإرباكًا في صفوف الأعداء، ويوقع في أنفسهم الرعب، وهذا كله يؤثر في الروح المعنوية.

وقد اختلف العلماء في جواز مباغتة الكفار الذين بلغتهم الدعوة والإغارة عليهم فجأة دونما إنذار "وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري والقاضي[1]، أحدها: يجب الإنذار مطلقًا، قاله مالك وغيره، وهذا ضعيف . والثاني: لا يجب مطلقًا، وهذا أضعف م نه أو باطل . والثالث: يجب إن لم تبلغهم الدعوة، ولا يجب إن بلغتهم لكن يُسْتَحَبّ، وهذا هو الصحيح، وبه قال نافع – مولى ابن عمر–، والحسن البصري، والثوري، والليث، والشافعي، وأبو ثور، وابن المنذر، والجمهور . قال ابن المنذر: وهو قول أكثر أهل العلم، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه"[2].

وقد باغت النبي صلى الله عليه وسلم الكفار في غير غزوة، فمن ذلك مباغتته بني قريظة.

21– عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَ دٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ "، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ . فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ[3].

لقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة الأحزاب بعد جهد ومجاعة، وقد أُنْهِك المسلمون، فكان المتوقع أن الجيش يحتاج فترة من الراحة، يستعيد الجند قواهم قبل شن أي هجوم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بسرعة المسير إلى قريظة، فقال: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، وبهذا تتم مفاجأتهم، وبث الرعب في قلوبهم، قال الله تعالى : **[وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُو نَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا]** {الأحزاب:26}.

واعتمد النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب المفاجأة والمباغتة في غزوه يهود خيبر.

---

[1]– يعني: القاضي عياض اليَحْصُبِيّ.

[2]– شرح صحيح مسلم للنووي 12 / 36.

[3]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب، ح4119.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ .

تخريج الحديث: أخرجه مسلم بالإسناد نفسه(كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو، ح1770).

22- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ[1] وَمَسَاحِيهِمْ[2]، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ[3]، قَالَ فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"[4].

لقد وصل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ليلا فلما أصبحوا وجدوه على أبواب حصنهم، ففوجئوا أيما مفاجأة. لقد دخل الرعب قلوبهم، حتى أخذوا في الصياح محمد والخميس.

وكذلك فاجأ النبي صلى الله عليه وسلم مشركي قريش، فإنه لما عزم على فتح مكة، أخفى عن أصحابه الوجهة التي يريد، ووجه سرية إلى بطن إضم زيادة في التعمية واستخداماً لعنصر المفاجأة.

*عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِضَمَ [5] فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ ، وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنَا عَامِرٌ بن الأضبط الْأَشْجَعِيُّ ... الحديث[6].

زاد الطبري في روايته لهذا الحديث: "فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم -وكانت قبل الفتح-"[7].

لقد كان نتيجة هذه المفاجأة -مع غيرها من أساليب الحرب النفسية- أن دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة دون قتال، ما خلا كتيبة واحدة كانت بقيادة خالد بن الوليد تصدى لها شرذمة من المشركين، لكن سرعان ما فروا هاربين.

---

[1]- المَكاتِل: جمع مِكْتَل، وهو القُفَّة الكبيرة التي يُحَوَّل فيها التراب. فتح الباري لابن حجر (7 / 468).

[2]- المَساحِي: جمع مِسْحَاة، وهي من آلات الحرث. فتح الباري لابن حجر (7 / 468).

[3]- الخميس: الجيش، سُمِّي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام : المقدمة، والسَّاقَة، والميمنة، والميسرة، والقلب . النهاية في غريب الحديث (2 / 79).

[4]- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، ح610.

إسناده: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس، ح 2945)من مالك بن أنس عن حميد به، وأخرجه مسلم (كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، ح 1365) من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه به.

[5]- إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السمينة. (معجم البلدان 1 / 214).

[6]- تقدم برقم (15).

[7]- تاريخ الطبري 2 / 148.

وكذلك باغت النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق.

23- عن ابْنُ عَوْنٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلَقِ وَهُمْ غَارُّونَ[1]، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ[2].

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له، فخرج إليهم وباغتهم، فهزمهم شر هزيمة فَقَتَلَ مَن قَتَلَ، وسَبَى مَن سَبَى، وغَنِم أموالَهم.

24- قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار – أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم– ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ... الحديث[3].

ومن المباغتة أيضاً ما كان من السرية التي أمّر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ووجهها لغزو بعض المشركين.

25- عَنْ سلمة بن الأكوع قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ رضى الله عنه، فَغَزَوْنَا نَاسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَبَيَّتْنَاهُمْ نَقْتُلُهُمْ، وَكَانَ شِعَارُنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَمِتْ أَمِتْ . قَالَ سَلَمَةُ: فَقَتَلْتُ بِيَدِى تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَبْعَةَ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. [4].

---

[1]- غَارُّون، أي: غافلون. النهاية في غريب الحديث (3 / 355).

[2]- صحيح البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقا، ح 2541.

إسناده: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ فذكر الحديث ثم قال: حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم من طريق سُليم بن أخضر عن عبد الله بن عون به .(صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار، ح1730).

رجال الإسناد: عبد الله: هو ابن المبارك، وابن عون: هو عبد الله بن عون.

[3]- السيرة النبوية لابن هشام 4 / 252.

إسناده:رواه ابن إسحاق عن شيوخه: عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان .

رجال الإسناد: كلهم ثقات.

الحكم على الحديث: مرسل.

[4]- سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في البيات، ح2638.

إسناده: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، وَأَبُو عَامِرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ، عن أبيه

لقد كان نتيجة المفاجأة أن استحر القتل في المشركين، حتى أن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قَتَل سبعة أهل أبيات من المشركين.

المطلب الخامس: زعزعة الثقة وشق الصفوف

إن شق صف العدو، وزعزعة الثقة فيما بين الجند والقادة، وفيما بين الجند أنفسهم يعمل على إضعاف الروح المعنوية لديهم، وتثبيطهم، وربما يؤدي إلى انعد ام الولاء والطاعة مما يؤدي إلى الهزيمة الحتمية.

ولقد حاول عروة بن مسعود فعل ذلك يوم الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

26- عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ -يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ- ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ .... فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ ! وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا [1] مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ ... الحديث[2].

لقد حاول عروة شق الصف، فأخذ يشكك رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدى ثبات جنوده في حال نشب القتال، فما هم إلا أوشاب خليقاً أن يفروا بزعمه.

تخريج الحديث: أخرجه أحمد (مسند أحمد 27 / 24)، والنسائي (السنن الكبرى 8 / 135) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وأخرجه ابن حبان (صحيح ابن حبان 11 / 48) من طريق هاشم بن القاسم، وأخرجه الحاكم (المستدرك على الصحيحين 2 / 107) من طريق عبد الله بن المبارك، وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير 7 / 15) من طريق سفيان الثوري، جميعهم عن عكرمة بن عمار به.

وأخرجه الدارمي(سنن الدارمي 3 / 1592) من طريق أَبِي عُمَيْسٍ عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ به.

رجال السند: عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث، أبو عامر: هو العقدي.

الحكم على الحديث: إسناده حسن رجاله ثقات عدا عكرمة بن عمار صدوق يغلط (تقريب التهذيب ص687) وقد تابعه أبو عُميس عند الدارمي بسند صحيح، فالحديث صحيح لغيره.

[1]- أوشاب الناس: الجموع من قبائل شتى وهم الأوباش. النهاية في غريب الحديث 5/ 145.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ح2734.

إسناده: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ

تخريج الحديث: تفرد به البخاري دون مسلم.

ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في حربه مع الكفار، فإن الأحزاب لما تحزبوا وحاصروا المدينة جاء نعيم بن مسعود مسلماً دون أن يعلم أحد بإسلامه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخذّل عن المسلمين، فقام بحيلة شق بها صف الأحزاب، وزعزع الثقة فيما بينهم وبين اليهود.

* عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال ... قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم، قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة " ... فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة –وكان لهم نديماً في الجاهلية–، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تَحَوَّلوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأمواله ونسائهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهْزَة[1] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونوا بأيدكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا، حتى تناجزوه، فقالوا لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقا أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا : نفعل، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم فنُعْطِيْكَهُم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا ... وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة، شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتيهم[2].

---

[1]– النُّهْزَة: الفُرْصَة. النهاية في غريب الحديث (5 / 134).

[2]– تقدم برقم (20).

لقد كانت هذه الحيلة التي شَقّ بها نعيم بن مسعود صف المشركين واليهود، وزعزع الثقة بينهم أحد أهم الأسباب التي دفعت أبا سفيان للرحيل ومعه الأحزاب، فقد صرح أبو سفيان بذلك إذ قال : "يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل"، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب[1].

ومن ذلك أيضًا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة؛ إذ أَمَّن كل من دخل دار أبي سفيان، أو دخل داره وأغلق عليه بابه وألقى سلاحه.

27- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ... فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ... الحديث[2].

إن تأمين النبي صلى الله عليه وسلم الناس، شق صف المشركين، فما قاتل إلا نفر منهم والبقية دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم على أنفسهم، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة دون قتال.

المطلب السادس: إثارة الأحقاد والفتن.

إن إثارة الفتن والأحقاد نوع من شق الصف، وزعزعة الثقة، وهذا مما يضعف الروح المعنوية، على عكس الاتحاد الذي يرفع من الروح المعنوية.

لقد كان بين الأنصار من أوس وخزرج عداوة وحروب في الجاهلية، فلما دخلوا الإسلام صاروا إخوةً متحابين متآلفين، فحاول اليهود إثارة الفتن بتذكيرهم بالأيام التي كانت بينهم.

---

[1]- أخرجه ابن هشام (السيرة النبوية 4 / 190-191) عن محمد بن إسحاق، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد (38 / 359)، (تاريخ الطبري 2 / 97-98).

والحديث غيرهم مختصرًا ومطولًا، وعند بعضهم ما ليس عند غيره.

ورجاله ثقات، غير أنه مرسل، وأصله في صحيح مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ح1788).

[2]- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ح 1780.

إسناده حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَ نَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ح 1780) من طريق سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني به.

28- عن زيد بن أسلم قال: مرّ شأسُ بن قيس -وكان شيخًا قد عَسَا[1] في الجاهلية، عظيمَ الكفر، شديد الضِّغن على المسلمين، شديدَ الحسد لهم- على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال : قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة[2] بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار، فأمر فَتى شابًّا من يهود -وكان معه- فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذَكِّرهم يَوْم بُعاث [3] وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار - وكان يوم بُعَاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج- ففعل. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظى - أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس- ، وجبار بن صخر -أحد بني سَلمة من الخزرج-. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً [4]! وغضب الفريقان، وقالوا : قد فعلنا، السلاحَ السلاحَ !! موعدُكم الظاهرة - والظاهرةُ : الحَرَّة- فخرجوا إليها وتحاوز الناس . فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، الخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية . فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال :"يا معشرَ المسلمين، اللهَ اللهَ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم، بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟ ! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكَوْا، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شَأس بن قيس وما صنع ... الحديث[5].

---

[1]- عَسَا: أي كبر وأَسَنّ. النهاية في غريب الحديث 3/ 238.

[2]- بنو قَيْلة: هم الأنصار، لأن قيلة هي أم الأوس والخزرج وهي قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن هزيم . كشف المشكل من حديث الصحيحين ص1048.

[3]- يوم بعاث: هو يوم كانت فيه مقتلة عظيمة بين الأوس والخزرج، وهزم فيه الخزرج، وبعاث : موضع على لِيلتين من المدينة. انظر: تاريخ دمشق 19/ 338، فتح الباري لابن حجر 1/ 88.

[4]- رددناها جَذَعَة: أَي أَوّلَ ما يُبْتَدأُ فِيها. تاج العروس 20/ 427.

[5]- تفسير الطبري 6 / 55.

إسناده: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم.

تخريج الحديث:

لقد حاول هذا اليهودي الخبيث إثارة الفتنة، وشق الصف، وبذلك تتمزق أواصر الأخوة، وتضعف الجبهة الداخلية، وتنهار الروح المعنوية، ولكن الله سلم، فبتذكير النبي صلى الله عليه وسلم لهم، وبطاعتهم له، قضي على الفتنة، وتم وأدها ما تزال في مهدها، وعاد الأنصار إخوة متحابين.

المطلب السابع: التحريض وحبك المؤامرات وافتعال الأزمات

لا شك أن التحريض يُحْدِث أزمةً نفسيةً لدى المُحَرَّض عليه، فهو لا يزال في قلق وخوف من عدو يغزوه من جراء تحريض خصومه عليه، وقد استخدم الكفار هذا الأسلوب أيضاً في حربهم على المسلمين، فهذا كعب بن الأشرف اليهودي يحرّض ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

29- عَن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ-وَكَانَ أَحَدَ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ-، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ ... فَلَمَّا أَبَى كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أَ نْ يَبْعَثَ رَهْطًا يَقْتُلُونَهُ، فَبَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ - وَذَكَرَ قِصَّةَ قَتْلِهِ- فَلَمَّا قَتَلُوهُ؛ فَزِعَتْ الْيَهُودُ وَالْمُشْرِكُونَ فَغَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقُتِلَ، فَذَكَرَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ، وَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ كِتَابًا يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِي هِ، فَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً[1].

أخرجه ابن الأثير أسد الغابة لابن الأثير (1 / 223) من طريق محمد بن عيسى عن محمد بن إسحاق به.

رجال الإسناد:

-ابن حميد: هو محمد بن حميد الرازي، ضعيف تقدمت ترجمته، انظر حاشية حديث رقم (3).

-سلمة: هو ابن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ، إلا أنه ثبت في ابن إسحاق، تقدمت ترجمته، انظر حاشية حديث رقم (3).

الحكم على الحديث:

فيه ابن حميد ضعيف، وفيه راو مبهم، لكن عزاه الزيلعي والمناوي إلى ابن جرير في تفسيره عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه. وهذا إسناد صحيح، ولم أقف عليه في المطبوع.

(انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف 1 / 208، والفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي 1 / 390).

[1]- سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ح 3000.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ نَافِعٍ حَدَّثَهُمْ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ.

تخريج الحديث:

لقد سمّى كعب بن مالك تحريض كعب بن الأشرف أذىً، وهذا حق، إذ لا شك أن مثل هذا التحريض يؤذي المحرض عليه نفسياً، فيجعله في قلق، ويوقع في نفسه شيئاً من الخوف، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان لهذا المحرِّض بالمرصاد، فأرسل له من يقتله ويريح المسلمين من شره، وكان لقتله أثر كبير؛ إذ وقع الخوف في نفوس الأعداء، وانقلب السحر على الساحر.

ومن ذلك أيضاً تحريض اليهودِ المشركين ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى تحزب الأحزاب، وحاصروا المدينة، وأوقعوا الرعب في نفوس المسلمين كما بيناه في الكلام على الحصار.

30- عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ . قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَعُثْمَانَ بْنِ يَهُوذَا أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: كَانَ الَّذِينَ حَزَّبُوا الأَحْزَابَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَنَفَرٌ مِنْ بَنِى وَائِلٍ ... خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَشِطُوا لِذَلِكَ ... وَخَرَجَ حُيَىُّ بْنُ أَخْطَبَ حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدٍ -صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ- ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِ كَعْبٌ أَغْلَقَ حِصْنَهُ دُونَهُ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، افْتَحْ لِي حَتَّى أَدْخُلَ عَلَيْكَ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا حُيَىُّ، إِنَّكَ امْرُ ؤٌ مَشْئُومٌ، وَإِنَّهُ لاَ حَاجَةَ لِى بِكَ وَلاَ بِمَا جِئْتَنِي بِهِ، إِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلاَّ صِدْقًا وَوَفَاءً ، وَقَدْ وَادَعَنِي وَوَادَعْتُهُ، فَدَعْنِي وَارْجِعْ عَنِّى، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ غَلَّقْتَ دُونِي إِلاَّ عَنْ جَشِيشَتِكَ [1] أَنْ آكُلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَأَحْفَظَهُ[2] فَفَتَحَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ، بِقُرَيْشٍ مَعَهَا قَادَتُهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهَا بِرُومَةَ، وَجِئْتُكَ بِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَا دَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهَا إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ، جِئْتُكَ بِبَحْرٍ طَامٍّ لاَ يَرُدُّهُ شَيءٌ، فَقَالَ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِالذُّلِّ، وَيْلَكَ فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لاَ حَاجَةَ لِي بِكَ وَلاَ بِمَا

أخرجه البيهقي (دلائل النبوة 3 / 196)، و (السنن الكبرى للبيهقي 9 / 183) من طريق عبد الكريم بن الهيثم، عن الحكم بن نافع به.

وأخرجه الطبراني (المعجم الكبير 19 / 78) من طريق عقيل عن الزهري به.

رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات، وقوله: عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، أي: عن جده كعب بن مالك.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[1]- الجَشِيشة: هي أن تُطحن الحنطة طحنًا جَلِيلًا، ثم تُجعل في القدور، ويُلقَى عليها لحم أو تمر وتطبخ . النهاية في غريب الحديث (1 / 273).

[2]- أَحْفَظَه، أي: أغضبه. لسان العرب (930/2).

تَدْعُونِي إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ يَفْتِلُهُ فِي الذِّرْوَةِ وَالْغَارِبِ[1] حَتَّى أَطَاعَ لَهُ وَأَعْطَاهُ حُيَيُّ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ قَبْلَ أَنْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا؛ لأَدْخُلَنَّ مَعَكَ فِي حِصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ. فَنَقَضَ كَعْبٌ الْعَهْدَ، وَأَظْهَرَ الْبَرَاءَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ... الحديث[2].

---

[1]– ما زال فلان يَفْتِل من فلان في الذِّرْوة والغا رِب، أَي: يَدُور من وراءِ خديعته، وهو مثل في المُخادَعة، يُقال للرجل لا يزال يخدع صاحبه حتى يظفر به. انظر: لسان العرب لابن منظور (5 / 3344)، وجمهرة الأمثال (2 / 98).

[2]– السنن الكبرى 9 / 232.

إسناده: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَ بُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ . قَالَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَعُثْمَانَ بْنِ يَهُوذَا أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ.

تخريج الحديث:

أخرجه البيهقي (دلائل النبوة 3 / 408) بالإسناد نفسه.

دراسة رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات عدا:

–يونُس بن بكَيْرٍ بن واصل الشَّيْباني ت 199هـ، وثقه ابن معين (تاريخ ابن معين رواية الدوري 3 / 274)، وابن نمير (تهذيب التهذيب 11 / 383)، وقال ابن عمار : "هو اليوم ثقة عند أصحاب الحديث "(تهذيب التهذيب 11 / 383)، وذكره ابن حبان في الثقات (651/7).

وقال أبو حاتم : "محله الصدق" (الجرح والتعديل 9 / 236)، وسئل أبو زرعة : أي شيء ينكر عليه؟ فقال :" أما في الحديث فلا أعلمه " (الجرح والتعديل 9 / 236). وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزجاني : "ينبغي أن يُتثبت في أمره لميله عن الطريق" (أحوال الرجال 138/1)، وقال أحمد بن حنبل : "ما كان أزهد الناس فيه وأنفرهم عنه! وقد كتبت عنه" (تهذيب التهذيب 11 / 383). وقال الساجي: "وكان صدوقاً؛ إلا أنه كان يتبع السلطان وكان مرجئًا " (تهذيب التهذيب 11 / 383)، وقال الذهبي: "صدوق" (من تكلم فيه وهو موثق ص203)،وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ" (تقريب التهذيب ص1098).

وقال أبو داود: "ليس هو عندي حجة؛ يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث " (تهذيب الكمال 32 / 496)، وقال النسائي: "ضعيف" (تهذيب الكمال 32 / 496).

قال الباحث:هو صدوق، وإنما تكلم فيه لمذهبه في الإرجاء ودخوله على السلطان، وأما تضعيف النسائي له، ففيه تشدد .

–أحمد بن عبد الجبا ر بن محمد العُطَارِدِيُّ، أبو عمر الكوفي ت 272هـ، قال الدارقطني : "لا بأس به، أثنى عليه أبو كريب" (تاريخ بغداد 264/4)، وقال الذهبي: "حديثه مستقيم؛ وضعفه غير واحد" (المغني في الضعفاء 1 / 45).

وتكلم فيه أبو حاتم فقال : "ليس بالقوي" (الجرح والتعديل 62/2)، لكن قد كتب عنه ابنه عبد الرحمن، كما ذكر ذلك إذ قال: "كتبت عنه، وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه" (الجرح والتعديل 62/2).

وفي هذا الحديث نفسه تحريض حيي بن أخطب يهودَ بني قريظة على نقض العهد، فأبوا فما زال بهم حتى نقضوا العهد، وب ذلك اكتملت المؤامرة، وحوصرت المدينة من جميع جهاتها، واشتد الخطب، وعظم الخوف.

31- عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرُ كَعْبٍ وَنَقْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ؛ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَسَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَهُوَ سَيِّدُ الأَوْسِ، وَكَانَ مَعَهُمَا فِيْمَا يَذْكُرُونَ وَهُوَ تَبَعٌ لَهُمَا خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: "انْتُوا هَؤُلاءِ القَوْمَ فَانْظُرُوا، فَإِنْ كَانُوا عَلَى الوَ فَاءِ فِيْمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَعْلِنُوهُ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى مَا بَلَغَنَا عَنْهُم، فَالْحَنُوا لِي عَنْهُمْ لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ المُسْلِمِيْنَ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِمْ وَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَ ا بَلَغَهُمْ ... ثُمَّ أَقْبَلُوا فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : عَضَلٌ وَالْقَارَةُ، يُرِيْدُونَ مَا فَعَل عَضَلٌ وَالقَارَةُ بِخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِه، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الله أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ"[1].

فابن أبي حاتم يصرح بأنه إنما ترك التحديث عنه لكلام الناس فيه، يبين هذا قول ابن عدي : "رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه، وكان أحمد بن محمد بن سعيد لا يحدث عنه لضعفه، وذكر أن عنده عنه الكثير على أنه لا يتورع أن يحدث عن كل أحد" (الكامل في ضعفاء الرجال 191/1).

قال الباحث: فهذا من ابن عقدة اتهام بالكذب، ومثل ذلك قول مطين: "كان يكذب" (تاريخ بغداد 262/4).

لكن قد بين ابن عدي نفسه علة هذا الطعن وا لتكذيب فقال: "لا أعرف له حديثًا منكرًا رواه، وإنما ضعفوه لأنه لم يلق القوم الذين يحدث عنهم " (الكامل في ضعفاء الرجال 191/1)، وقال ابن حبان : "ربما خالف، ولم أرَ في حديثه شيئًا يجب أن يعدل به عن سبيل العدول إلى سنن المجروحين " (الثقات 45/8)، وقال الخليلي : "ليس في حديثه مناكير، لكنه روى عن القدماء فاتهموه لذلك" (تهذيب التهذيب 1 / 52).

قال الباحث: وقد رد هذا الاتهام الخطيب البغدادي، والذهبي، بما يوجب صدقه وصحة سماعه ممن روى عنهم، أو عدم امتناعه على الأقل (انظر: تاريخ بغداد 262/4، سير أعلام النبلاء 13 / 57)، فإذا انضاف إلى ذلك ثناء أبي كريب عليه، وتصريح بعض أئمة النقد بأنهم لم يقفوا له على حديث منكر، يتبين أنه لا ينزل عن درجة الصدوق .

الحكم على الحديث:

فيه أحمد بن عبد الجبار، ويونس بن بكير، كلاهما صدوق، وبقية رجاله ثقات، والحديث مرسل .

[1]- دلائل النبوة للبيهقي 3 / 429.

إسناده: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ : مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ.

تخريج الحديث: أخرجه البيهقي (السنن الكبرى 9 / 232) بالإسناد نفسه، بأخصر منه، وأخرجه الطبري (تفسير الطبري 20 / 218) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق به.

الحكم على الحديث: فيه أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّار، ويُونُسُ بْنُ بُكَيْر، كلاهما صدوق، وبقية رجاله ثقات، والحديث مرسل.

زاد الطبري: "وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ"[1].

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم ما سيحدثه خبر نقض بني قريظة العهد من أزمة، وأنه سيكون شديد الوقع على نفوس المسلمين، ولذلك قال ألحنوا لي عنهم لحناً ولا تفتّوا في أعضاد المسلمين، ولما جاء الخبر اليقين؛ كَبَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وبشّر المسلمين بالنصر، زيادة منه في إخفاء نبأ نقض بني قريظة العهد، ويرفع معنويات المسلمين، ومع ذلك فإن المسلمين شعروا بنقض العهد، فعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ

وهذا يوضح لنا عظيم ما يُحْدِثُه التحريض من أزمة، وكيف أن التحريض مع حبك المؤامرات له وقع شديد على النفوس.

ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب نفسه في مواجهة الأحزاب، فكانت حيلة نعيم بن مسعود التي تسببت في أزمة بين قريش والأحزاب من جهة، وبني قريظة من جهة أخرى.

* عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال ... قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم، قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة " ... فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة –وكان لهم نديماً في الجاهلية–، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تَحَوَّلوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأمواله ونسائهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهْزَة[2] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونوا بأيدكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا، حتى تناجزوه، فقالوا لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا، وإنه قد بلغني أمر قد

---

[1]– تفسير الطبري 20 / 218.

[2]– النُّهْزَة: الفُرْصَة. النهاية في غريب الحديث (5 / 134).

رأيت عليَّ حقا أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا : نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم فنُعْطِيْكَهُم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا ... وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة، شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتيهم[1].

لقد تسببت حيلة نعيم بن مسعود بأزمة كبيرة، كان من نتائجها رحيل الأحزاب، وفك الحصار عن المدينة، والتخلية بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين ، وبين بني قريظة الذين خانوا العهد، فعاقبهم الله على يدي النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أشد عقاب.

المطلب الثامن: السخرية والاستهزاء والخيلاء في الحرب.

إن السخرية والاستهزاء والخيلاء في الحرب تدل على الثقة بالنفس، ورباطة الجأش، والقطع بالانتصار على الخصم، وفي المقابل إظهار الاستعلاء على الخصم، وازدرائه، والتحقير من شأنه، وعدم الاكتراث بقوته، وهذا من أهم عوامل الانتصار في المعركة، فإن هذا الأسلوب إذا نجح أدى إلى تشكيك الأعداء في قوتهم، وتحطيم معنوياتهم، وإلقاء الذعر في أنفسهم، بل إنها تزلزل نفوس الأعداء، ثم ماذا ينتظر أن تنتج هذه الهزيمة النفسية سوى هزيمة عسكرية مؤلمة.

وقد استخدم أعداء الإسلام هذا الأسلوب في حربهم على المسلمين، فهاهم اليهود يشنون حرباً نفسية على المسلمين بعد انتصارهم في معركة بدر.

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ؛ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِى قَيْنُقَاعَ، فَقَالَ : "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا". قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لاَ يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ : **[قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ]** قَرَأَ مُصَرِّفٌ إِلَى قَوْلِهِ : **[فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ]** بِبَدْرٍ **[وَأُخْرَى كَافِرَةٌ]** {آل عمران:12-13}[2].

---

[1]- تقدم برقم (20).

[2]- سنن أبي داود ، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ح 3001.

إسناده: حَدَّثَنَا مُصَرِّفُ بْنُ عَمْرٍو الأَيَامِ يُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ -يَعْنِى ابْنَ بُكَيْرٍ-، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى مُحَمَّدٍ -مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ-، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

حاول اليهود بهذا الأسلوب إضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم بعدما انتصروا انتصاراً ساحقاً على المشركين في بدر، فهم باستهزائهم بقوة قريش، وقدرتهم على القتال إنما يستهزؤون بقوة المسلمين الذين انتصروا عليهم، ثم هم يظهرون ثقتهم بأنفسهم، فإنهم هم أهل الحرب والقتال كما زعموا.

ثم جاء الرد من الله تعالى في مواجهة هذه الحرب النفسية، وذلك بأن شن عليهم حرباً نفسية مضادة، فلئن كانوا هـ م يتظاهرون بالثقة في أنهم سينتصرون في أي حرب يخوضونها مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإنّ رد الله عليهم ليس من باب شن حرب نفسية مضادة وحسب، بل إن قول الله حق، ووعده صدق، فإذا قال الله: (قُلْ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ)، فإنهم سيغلبون.

ومما يُذكر في هذا الباب أيضاً ما فعله عروة بن مسعود من الاستهزاء بقوة المسلمين ووحدتهم.

* عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ –يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ– قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ ..... فذكرا الحديث، وفيه أن قريشًا أرسلت عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه فَقَالَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ ... الحديث[1].

هكذا وبهذا الأسلوب الساخر شن عروة بن مسعود حرباً نفسية على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءه الرد الأول من أبي بكر رضي الله عنه شديداً إذ قال له : امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ، ثم جاء الرد من المغيرة بن شعبة وهو ابن أخي عروة بن مسعود، فإن عروة جعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم "فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَ ةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ"[2].

تخريج الحديث: أخرجه ابن جرير (تفسير الطبري 6 / 227)، عن أبي كريب، والبيهقي (دلائل النبوة 3 / 173) من طريق أحمد بن عبد الجبار، كلاهما عن يونس بن بكير به.

رجال الإسناد: يُونُسُ بْنَ بُكَيْرٍ صدوق، وتقدمت ترجمته، انظر حاشية حديث رقم (30).

–مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: مجهول، تقدمت ترجمته. انظر حاشية حديث رقم (2).

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف.

[1]– تقدم برقم (5).

[2]– المرجع السابق نفسه.

ثم جاء الرد الأخير من قبل المسلمين جميعا، وكان رداً عملياً، وبه تكتمل معالم الحرب النفسية المضادة، فإن عروة جعل يرقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه : "فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَ هُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَ مَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَ قَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا"[1].

لقد بلغ من تأثير الحرب النفسية المضادة من نفس عروة بن مسعود مبلغًا كبيرًا، حتى رجع إلى قومه ينقل ما رأى كأنما يشن هو عليهم حربًا نفسية، فبعد أن كان يستهزئ بقوة المسلمين ووحدتهم، صرار يعظم من شأن اتحادهم، وطاعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيمهم إياه، فمثل هؤلاء لا يُسْتَهان بِقُوَّتِهم، ولا يُحَقَّر من شأنهم.

الخيلاء في الحرب:

"الفخر والاختيال عند القتال: هو احتقار قرنه، واقتداره عليه، وقلة اكتراثه به؛ فيُلقِي بذلك الرعب في قلب عدوه"[2]، فالخيلاء في الحرب تعمل عمل الاستهزاء، بل هي نوع من الاستهزاء، وقد أباح الله الخيلاء في الحرب، "لما فيها من المصلحة الراجحة الموافقة لمقصود الجهاد"[3].

32- عَنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَمِنْ الْخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ ... وَأَمَّا الْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَأَنْ يَتَخَيَّلَ بِالصَّدَقَةِ"[4].

---

[1]- المرجع السابق نفسه.

[2]- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار 2/ 347-348.

[3]- إعلام الموقعين 2 / 167.

[4]- مسند أحمد 39 / 156. إسناده: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ الْحَجَّاجِ - يَعْنِي الصَّوَّافَ-، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ

تخريج الحديث:

أخرجه ابن حبان (صحيح ابن حبان 530/1) من طريق محمد بن أبي عدي، عن الحجاج الصواف به بنحوه، غير أنه قال: "عن ابن عتيك عن أبيه".

إن الحديث يدل على أن الله "يحب المختال بين الصفين عند الحرب لما في ذلك من مراغمة أعدائه"[1]، و"التعاظم على أهل الكفر، والاستحقار لهم، والتصغير لشأنهم"[2].

ولهذا فقد طبق أبو دجانة رضي الله عنه تطبيقًا عمليًا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

33- عن رجل من الأنصار من بني سلمة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين رأى أبا دجانة يتبختر: "إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن"[3].

وأخرجه أبو داود (سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب، رقم : 2659)، وأحمد (المسند 161/39) من طريق أبان بن يزيد العطار، وأخرجه النسائي في (سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، رقم : 2558)، وابن أبي شيبة (مصنف ابن أبي شيبة 334/10)، والبيهقي في الكبرى (السنن الكبرى 308/7) من طريق الأوزاعي، وأخرجه أحمد (المسند 157/39)، والطبراني (المعجم الكبير 189/2) من طريق حرب بن شداد، ثلاثتهم عن يحيى بن أبي كثير به بنحوه.

دراسة رجال الإسناد:

إسماعيل: هو ابن عُلَيَة، محمد بن إبراهيم هو ابن الحارث التَّيْمِيّ.

-يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِير ثقة، مدلس من المرتبة الثانية (طبقات المدلسين ص36)، وقد صرح بالسماع في رواية النسائي.

-ابْنُ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ الْأَنْصَارِيِّ : قال ابن حبان بعد ما أخرج الحديث : "ابن عتيك هذا، هو أبو سفيان بن جابر بن عتيك بن النعمان الأشهلي، لأبيه صحبة " (صحيح ابن حبان 531/1)، وقال المزي : "إن لم يكن – يعني: أبا سفيان- عبد الرحمن بن جابر بن عتيك فهو أخ له" (تهذيب الكمال 429/34).

وأبو سفيان هذا، ذكره البخاري (التاريخ الكبير 39/9)، وأبو حاتم (الجرح والتعديل 381/9)، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا.

وقال ابن حجر : "وكان أبو سفيان قدم مصر، ولا يوقف على اسمه " (الإصابة في تمييز الصحابة 438/1)، وقال الهيثمي: "ذكره ابن أبي حاتم، ورَوَى عنه غير واحد من أهل الصحيح، ولم يتكلم فيه أحد" (مجمع الزوائد 324/4).

الحكم على الحديث:

إسناده ضعيف، لجهالة ابن جابر بن عتيك.

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر الجهني، أخرجه عبد الرزاق (مصنف عبد الرزاق 10 / 409)، ومن طريقه أحمد(مسند أحمد 28 / 619)، وابن خزيمة(صحيح ابن خزيمة 4 / 113)، والحاكم(المستدرك 1 / 418)، وفيه ضعف، إلا أن المتن يرتقي بمجموع الطريقين إلى الحسن لغيره.

[1]- مدارج السالكين 3 / 86.

[2]- المنتقى شرح الموطا 225/7-226.

[3]- السيرة النبوية لابن إسحاق 334/1-335.

إسناده: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم -مولى عمر بن الخطاب-، عن رجل من الأنصار من بني سلمة.

تخريج الحديث: أخرجه ابن هشام (السيرة النبوية 4/ 13) عن ابن إسحاق به.

ولقد استخدم الكفار هذا الأسلوب أيضاً، فهذا مرحب أحد ملوك يهود خيبر يخرج للمبارزة مختلا.

34- عن سلمة بن الأكوع قَالَ : قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ[1] وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلَاحِ[2] بَطَلٌ مُغَامِرٌ

قَالَ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ[3] فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ ... الحديث[4].

ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي (دلائل النبوة 3/ 233-234)، وسمى الرجل الذي روى عنه جعفر بن عبد الله مولى عمر.

دراسة رجال الإسناد:

-جعفر بن عبد الله بن أسلم - مولى عمر بن الخطاب-: ذكره البخاري (التاريخ الكبير للبخاري 2 / 194)، وأبو حاتم (الجرح والتعديل 2 / 482)، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات (6 / 135)، وقال ابن حجر: مقبول (تقريب التهذيب ص200).

-رجل من الأنصار من بني سلمة : هو معاوية بن معبد بن كعب بن مالك، هكذا أورده البيهقي مصرحاً باسمه في روايته لهذا الحديث، ومعاوية هذا ذكره البخاري، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا (التاريخ الكبير 7 / 332)، وقال ابن معين: "لا أعرفه"، قال ابن أبي حاتم : "يعنى لأنه مجهول" (الجرح والتعديل 8 / 378)، وذكره ابن حبان في الثقات (5 / 413).

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف، لانقطاعه

[1]- يخطر بسيفه: أي يهز معجباً بنفسه، متعرضاً للمبارزة، أو أنه كان يخطر في مشيته أي يتمايل ويمشي مشية المعجب، وسيفه في يده، يعني: أنه كان يخطر وسيفه معه. النهاية في غريب الحديث 2 / 46.

[2]- شاكي السلاح: شائك السلاح. النهاية في غريب الحديث 5/ 280.

[3]- الأَكْحَل: عِرْق في وسط الذراع. النهاية في غريب الحديث 4/ 154.

[4]- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح 1807.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْ قَاسِمِ، (ح) وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ (ح) وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ -وَهَذَا حَدِيثُهُ-، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَنَفِيُّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ -وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ-، حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي.

تخريج الحديث:

خرج مرحب حاملًا سيفه، يهزه متكبرًا، وينشد شعرًا، يمدح نفسه، ويعظم من قوته، يريد بذلك إيقاع الرعب في قلب من يبارزه.

ومن ذلك ما فعله عمرو بن ود في غزوة الخندق.

35- قال ابن اسحاق: وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة؛ فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليُرَى مكانُه، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز؟ ... الحديث[1].

المطلب التاسع: الإغراء والترغيب

عَرَّف عبد الكريم زيدان أسلوب الترغيب – وهو أحد أساليب الدعوة الإسلامية- بقوله: "تقصد بالترغيب كل ما يُشَوِّق المَدْعُوّ إلى الاستجابة، وقبول الحق، والثبات عليه"[2].

ومن هذا التعريف يمكن أن نستنتج تعريفًا لأسلوب الإغراء والترغيب في الحرب النفسية فنقول : "هو كل ما يُشَوِّق المَدْعُوّ إلى الاستجابة لما يعرضه عليه العَدُوّ من مبادئ أو مطالب، وقبولها، والثبات عليها".

وأسلوب الإغراء والترغيب أحد الأساليب التي استخدمها الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم، لما شعروا بالخطر على مصالحهم من انتشار دعوته، فاجتمعوا ورَأَوْا أن يُرسِلوا أحدَهم فيعرضَ على النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأمور، لعله يرجع عن دعوته.

36- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ : اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا، فَقَالُوا : انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَ الْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتْ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ، وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد . فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ : يَا

أخرجه البخاري (كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، ح 6148، وكتاب الجهاد والسير، باب من رأى العدو فنادى،ح 3041، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر،ح 4209) من طريق يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع مختصرا -وليس فيه قصة مرحب-.

رجال الإسناد:

سلمة: هو ابن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه.

[1]- السيرة النبوية لابن هشام 4 / 182.

تخريج الحديث: لم أقف عليه عند غير ابن هشام، وهو من مراسيل ابن إسحاق.

والحديث له شاهد عن ابن عباس، أخرجه الحاكم وصححه (المستدرك على الصحيحين 3 / 32)، وليس كما قال فإن فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف.

[2]- أصول الدعوة ص421.

مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنْك، فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّك خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَك ... أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ، فلَخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ فَلْنُزَوِّجُك عَشْرًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ، جَمَعْنَا لَك حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلاً وَاحِدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَفَرَغْتَ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "بسم الله الرَّحْمَن الرحيم **[تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]** {فصِّلت :2} حَتَّى بَلَغَ : **[فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ]** {فصِّلت:13}" ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : حَسْبُك حَسْبُك، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ : "لاَ"، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَك؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلاَّ وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ، فَقَالُوا : فَهَلْ أَجَابَك؟ قَالَ : نَعَمْ؛ قَالَ : لاَ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيِّنَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَا قَالَ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، قَالُوا : وَيْلَك، يُكَلِّمُك رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لاَ تَدْرِي مَا قَالَ، قَالَ : لاَ وَاللهِ، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ[1].

وفي رواية أخرى لهذا الحديث أن عتبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : "يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالًا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا ح تى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً مَلَّكْناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[2] تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئَك

---

[1]– مصنف ابن أبي شيبة (20/ 237).

إسناده: حدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الأَجْلَحِ، عَنِ الذَّيَّالِ بْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.

تخريجه: أخرجه عبد بن حميد(المسند 2/ 187)، وأبو يعلى (المسند 3/ 349)، عن ابن أبي شيبة به.

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه ابن إسحاق قال : حدثني شيخ من أهل مكة قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. السيرة النبوية لابن إسحاق 1/234-235.

وله شاهد مرسل أخرجه ابن إسحق قال : حدثني يزيد بن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً ... فذكره. السيرة النبوية لابن إسحاق 1/242-243.

رجال الإسناد: رجاله ثقات، غير الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي فهو صدوق، والذيال بن حرملة ذكره ابن حبان في الثقات 4/222.

[2]– الرَّئِيّ: هو التابع من الجِنّ، سُمِّيَ به لأنه يَتَرَائَى لِمَتْبُوعِه. النهاية في غريب الحديث (2/178).

منه، فإنه ربما غلب التَّابِع على الرجل حتى يُدَاوَى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شِعْر جَ اشَ به صدرك، فإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد"[1].

جاء عتبة بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعروض سياسية، واقتصادية، واجتماعية، كل هذا الإغراء في سبيل صد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يريد بدعوته إلا وجه الله قال تعالى : **[قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا]** {الفرقان:55} ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كانت غايته هداية الناس إلى سبيل الله القويم، وصراطه المستقيم، يبتغي بذلك الأجر من رب العالمين، فما هو ممن تؤثر فيه أحد أساليب الحرب النفسية، كان إغراءً وترغيبًا، أو غير ذلك.

إن أسلوب الإغراء والترغيب لم يكن مقتصرًا على المشركين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم هذا الأسلوب أيضًا، وذلك في غزوة الأحزاب، لما اشتد الحصار على المدينة.

37- عن ابن شهاب الزهري قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري -وهما قائدا غطفان- فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل؛ بعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فذكر لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا، قال : "بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ،وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما"، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وع بادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى [2] أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فأنت وذاك"، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا[3].

---

[1]- السيرة النبوية لابن إسحاق 1/242-243.

[2]- القِرَى: ما يُهَيَّأ للضيف من طعام ونُزُل. مشارق الأنوار على صحاح الآثار 2/ 181.

[3]- السيرة النبوية لابن هشام 4 / 180.

كان لا بد أن يفعل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً للتخفيف من شدة الحصار على المدينة، فاستخدم أسلوب الإغراء والترغيب، وذلك بأن عرض على سيدي غطفان ا لرجوع بجيشهما مقابل ثلث ثمار المدينة وبذلك يضعف جبهة الأعداء، ويشق صفهم، فلما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم باللين من جانب سيدي غطفان، استشار سيدا الأنصار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فإن ثمار المدينة ملك للأنصار، فكان رأيهما عدم إعطاء غطفان شيئاً من ثمار المدينة، وأجابا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام يُظهر غاية الاستسلام لله، وينم عن خلق عظيم، وأدب رفيع مع نبي كريم، وكان في كلامهما ما يظهر رفعة الروح المعنوية، والاعتزاز بالإسلام، والثبات في مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والإصرار على مواجهة العدو وقهره مهما كثر عدده وعتاده، فرضي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك منهم فهو إنما اراد أن يفعل ذلك من أجلهم، واختبار الروح المعنوية عندهم.

ومن الترغيب كذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، حيث أعطى الأمان لمن دخل داره أو المسجد الحرام، وخص دار أبي سفيان بالذكر.

38- قَالَ الْعَبَّاسُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ فاجعل لَهُ شَيْئًا، فَقَالَ: "نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ"[1].

إسناده: قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري

تخريج الحديث: أخرجه البيهقي (دلائل النبوة 430/3) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به.

دراسة رجال الإسناد: رجاله ثقات.

الحكم على الحديث: رجاله ثقات إلا أنه مرسل.

وللحديث شاهد عن أبي هريرة أخرجه البزار (مسند البزار 337/14)، والطبراني (المعجم الكبير 6 / 28) وإسناده حسن.

[1]- شرح معاني الآثار (3 / 319).

إسناده: حدثنا فهد بن سليمان بن يحيى، قال: ثنا يوسف بن بهلول، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: قال الزهري: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

تخريج الحديث: أخرجه الطبراني (المعجم الكبير 8 / 9) من طريق محمد بن سلمة عن ابن إسحاق به.

وأخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 157)، والبيهقي (دلائل النبوة للبيهقي 5 / 32) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

رجال الإسناد:

-محمد بن إسحاق بن يسار، إمام المغازي.

قال شعبة بن الحجاج: "محمد بن إسحاق أمير المحدثين بحفظه" (التاريخ الكبير للبخاري 40/1)، وقال ابن معين: "ثقة،

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الأمان لكل من دخل دا ره وأغلق عليه بابه فلا مزية لدار أبي سفيان على سائر دور أهل مكة، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بالذكر من أجل أنه رجل يحب الفخر، ومن أجل مكانته فهو سيد قريش وبذلك يرغبه في الإسلام وعدم القتال، وكان ذلك بمشورة عمه العباس رضي الله عنه.

ويحدثنا التاريخ عن محاولة لإغراء الجيش المسلم من قبل رستم قائد جيش الفرس.

عن أبي عثمان النهدي قال : لما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته ولم يغيروا شيئا من شارتهم؛ تقوية لتهاونهم، فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ... ومما قال له رستم : ثم إنه لم يكن في الناس

حسن الحديث" (تاريخ بغداد 218/1)، وقال الإمام أحمد :"هو حسن الحديث " (تاريخ بغداد 223/1)، وقال مرة : "ليس بحجة" (تاريخ بغداد 230/1)، وقال يعقوب بن شيبة : "سألت علي بن المديني قلت : كيف حديث محمد بن إسحاق عندك، صحيحٌ؟ فقال : نعم، حديثه عندي صحيح " (تاريخ بغداد 228/1–229)، وقال أبو زرعة الدمشقي : "ومحمد بن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه منهم : سفيان بن سعيد، وشعبة، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإبراه يم بن سعد، وروى عنه من الأكابر : يزيد بن أبى حبيب. وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقًا، وخيرًا مع مِدْحَةِ ابن شهاب له" (تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص 265).

وقال الخطيب البغدادي : "وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء؛ لأسباب منها : أنه كان يَتَشَيَّع، ويُنْسَب إلى القدر، ويُدَلِّس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه " (تاريخ بغداد 224/1).

وأما مالك فكذبه فقال : "دجال من الدجاجلة " (تاريخ بغداد 223/1)، وقال ابن حجر : "وكذبه سليمان التيمي، ويحيى القطان، ووُهَيْب بن خالد، فأما وهيب والقطان فقلدا فيه هشام بن عروة ومالكًا، وأما سليمان التيمي فلم يَتَبَيَّن لي لأي شيء تكلم فيه، والظاهر أنه لأمر غير الحديث لأن سليمان ليس من أهل الجرح والتعديل " (تهذيب التهذيب 39/9).

وقد فصل ابن حبان في الدفاع عنه والرد على من كذبه (انظر: الثقات 380/7–383).

قال الذهبي :" كان صدوقًا من بحور العلم، وله غرائب في سعة ما رَوَى تُسْتَنْكَر، واخْتُلِفَ في الاحتجاج به، وحديثه حسن، وقد صححه جماعة " (الكاشف 156/2)، وقال ابن حجر : "صدوق يدلس، ورُمِيَ بالتشيع والقدر " (تقريب التهذيب ص825)، وقد ذكره ابن حجر في الرابعة من طبقات المدلسين (طبقات المدلسين ص51).

ولأهل العلم فيه كلام طويل ما بين مقوٍّ له، ومضعِّفٍ، ومتوسِّط، وقد قال فيه أبو الحسن بن القطان: "والمُتَحَصِّل من أمره الثِّقَة وَالْحِفْظ، وَلَا سِيمَا للسير، وَلم يَصح عَلَيْهِ قَادِح" (بيان الوهم والإيهام 5 / 630).

قلت: بل صدوق، حسن الح ديث، لكنه ثبت في السير والمغازي، فله مزيد اعتناء بها، وهو مدلس مكثر من التدليس، يقبل ما صرح فيه بالسماع. وقد صرح بالسماع في رواية الطبراني.

–باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

أمة أصغر عندنا أمراً منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة، لا نراكم شيئاً ولا نعدكم، وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة؛ استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالسيئ من التمر والشعير ثم نردكم، وقد علمتُ أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم، فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم، وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون عنّا، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم[1].

لقد حاول رستم شن حرب نفسية على المسلمين، وذلك بأن جمع بين أسلو بي الترغيب والترهيب، فعرض عليهم أن المال والتمر والثياب ترغيباً لهم في الرجوع وعدم القتال، ثم استخدم أسلوب الترهيب بقوله: "فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم "، وهو بهذا يتوعدهم إن هم لم يقبلوا بما عرضه عليهم ويرجعوا فسيكون مآلهم القتل والسبي، وهذا الأسلوب الذي يُسَمَّى بلغتنا الإعلامية المعاصرة أسلوب العصا والجزرة.

المطلب العاشر: إثارة الرعب والإرهاب والتخويف.

الرعب من أعظم الأسلحة النفسية في المعارك، فإن إثارة الرعب في نفوس الجنود يفقدهم الثقة في قوتهم وأسلحتهم وتجعلهم عاجزين عن اتخاذ القرار الصائب، وإذا م ا تمكن الخوف من نفوس الجند؛ غدا السلاح الذي في أيديهم لا قيمة له . ولذلك أمر الله المؤمنين بإعداد ما يرهبون به أعداءهم من الكفار، قال الله تعالى: **[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ]** {الأنفال:60}

قال سيد قطب: "فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله، الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض؛ الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة"[2]، "وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين

---

[1]- تاريخ الطبري 2 / 403.

إسناده: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان النهدي.

رجال السند:

- سيف بن عمر التميمي الكوفي، ضعيف الحديث؛ عمدة في التاريخ. تقريب التهذيب ص428.
- شعيب بن إبراهيم، ذكره ابن حبان في الثقات (8 / 309).
- أبو عثمان النهدى: هو عبد الرحمن بن مل من كبار التابعين، وهو ثقة.
- السري: هو ابن يحيى بن إياس بن حرملة، وهو ثقة.

الحكم على الحديث: رجاله ثقات، غير سيف ابن عمر، وهو عمدة في التاريخ، وهذه رواية تاريخية.

[2]- في ظلال القرآن 1544/3.

لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة : أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام. وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفس هم جزية. وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان . ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار . وخامسها: أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام"[1].

والرعب هو أحد جنود الله في المعارك، هو الجندي الذي أيد الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، ونصره ومن معه من المؤمنين في معاركهم.

39-عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ" ... الحديث[2].

لقد اختُص النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر بالرعب ولو كان بينه وبين عدوه مسافة شهر، فإذا هَمَّ النبي عليه الصلاة والسلام بغزو قوم قذف الله في قلوبهم الرعب، فتفرقوا وتبعثر جمعهم، وإن قاتلوا لم يثبتوا للقائه ولا لمقاتلته حتى يفروا هاربين منهزمين. "وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق، حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته من بعده فيه احتمال"[3].

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد نصر نبيه صلى الله عليه وسلم بالرعب؛ فإن ذلك لم يمنعه صلى الله عليه وسلم من الأخذ بالأسباب التي تزيد الرعب في نفوس أعدائه، ومن ذلك أنه لما عسكر قرب مكة أمر المسلمين أن يوقدوا النار وذلك ليراها القرشيون فيدب الرعب في قلوبهم.

40- عن عروة بن الزبير قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا؛ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ [4]، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَا لَ

---

[1]- تفسير الفخر الرازي 1 / 2157.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : جعلت لي الأرض، ح438.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَيَّارٌ - هُوَ أَبُو الْحَكَمِ- ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ الْفَقِيرُ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب التيمم، باب قول الله تعالى : فلم تجدوا ماء فتيمموا، ح 335) بالإسناد نفسه، وعن سعيد بن النضر، وأخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب .....، ح521) عن يحيى بن يحيى، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثتهم عن هشيم بن بشير به.

[3]- فتح الباري لابن حجر 1 / 437.

[4]- مَرّ الظَّهْرَان: واد قُربَ مَكَّة، وعندها قَرْيَة يُقَالُ لها مَرّ، يُنْسَبُ إلى هذا الوادي، وبمر الظهران عيون كثيرة ونخيلٌ لأسلم وهذيل وغاضرة، وقد جاء ذكرها في غير حديث. الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ص649.

أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَ دْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّ اسِ احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَبَسَهُ الْعَ بَّاسُ فَجَعَلَتْ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ قَالَ يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَذِهِ غِفَارُ قَالَ مَا لِي وَلِغِفَارَ ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُ ولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَلَ مَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ أَلَمْ تَعْلَمْ مَ ا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ قَالَ مَا قَالَ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ قَالَ وَأَ مَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُرْ كَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُونِ قَالَ عُرْوَةُ وَأَخْبَرَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَا هُنَا أَمَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ قَالَ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ وَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُدَا فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ حُبَيْشُ بْنُ الْأَشْعَرِ وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الْفِهْرِيُّ[1].

زاد ابن عباس في حديثه، أن أبا سفيان قال : "ما لأحد بهؤلاء قبل، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال قلت: ويلك يا أبا سفيان إنها النبوة، قال : فنعم، قال قلت :

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى ا لله عليه وسلم الراية، رقم 4280.

إسناده: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ.

تخريج الحديث: أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم، ح 2976).

قال: حدثنا أبو العلاء، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن نافع بن جبير قال سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما: هَا هُنَا أَمَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَرْكُزَ الرَّايَةَ.

وعروة بن الزبير من التابعين، وعليه فالحديث مرسل. قال ابن حجر في الفتح: "هكذا أورده مرسلًا، ولم أره في شيء من الطرق عن عروة موصولًا، ومقصود البخاري منه ما ترجم به وهو آخر الحديث، فإنه موصول عن عروة عن نافع بن جبير بن مطعم عن العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام".(فتح الباري لابن حجر 8 / 6).

والحديث له شاهد صحيح –بنحوه مُطَوَّلًا– عن ابن عباس، تقدم تخريجه برقم (38).

التجأ إلى قومك، أخرج إليهم حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة بن ربيعة فأخذت شاربه فقالت : أقتلوا الحميت ا لدسم[1] فبئس طليعة قوم . قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، وإنه قد جاء ما لا قبل لكم به ... الحديث[2].

لقد أفزعت النار أبا سفيان ومن معه، ودب الرعب في قلوبهم، حتى ذهب أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة العباس، يطلب الأمان لنفسه ولقومه، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقضي على البقية الباقية من الروح المعنوية لدى أبي سفيان وذلك بعرض كتائب المسلمين عليه، تمر أمامه، فكلما مرت كتيبة ازداد رعباً وخوفاً.

رجع أبو سفيان بعد هذه الحرب النفسية وقد انهارت روحه المعنوية، بل رجع إلى قريش يشن عليهم حربلًنفسية، وهذا يدل على مدى تأثره بما رأى، وشدة أثر الرعب في نفسه.

وقد استخدم هذا الأسلوب أعداء الإسلام أيضاً، فحاولوا إخافة المسلمين وإرهابهم، فهذا عروة بن مسعود حاول إيقاع الرعب في قلوب المسلمين يوم الحديبية.

* عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَا نَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ... فذكرا الحديث، وفيه أن قريشًا أرسلت عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه فكان مما قال له: إِنَّهَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ[3]، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ [4]، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ أَنْ لَا تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً [5] أَبَدًا، وَأَيْمُ اللَّهِ لَكَأَنِّي بِهَؤُلَاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا ... الحديث[6].

جاء عروة بن مسعود يعظم من قوة قريش، وإصرارها على قتال المسلمين إن لم يرجعوا، يريد بذلك إخافة المسلمين وإرهابهم.

---

[1]- الحَميت: الزق الذي يكون فيه السمن. النهاية في غريب الحديث 1 / 436. ويشبه الرجل السمين الجسيم بالحميت. عمدة القاري 158/17.

[2]- تقدم برقم (38).

[3]- العوذ المطافيل: النساء والصبيان. النهاية في غريب الحديث 318/3.

[4]- لبسوا جلود النمور : كناية على شدة الحقد والغضب، تشبيهاً بأخلاق النمور، وقيل : هو مثل يكنى به عن إظهار العداوة والتنكير، ويقال للرجل الذي يظهر العداوة لبس لي جلد نمر . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 5 /82.

[5]- عَنْوة: أي قهراً وغلبة. النهاية في غريب الحديث 315/3.

[6]- تقدم برقم (5).

ومن ذلك أيضا ما كان من مالك بن عوف زعيم هوازن إذ أمر جيشه أن يكسروا جفون سيوفهم.

41- قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ... قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد ... الحديث[1].

"جرت عادة العرب في حروبهم أن يكسروا أجفان سيوفهم قبل بدء القتال، وهذا التصرف يؤذن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتى النصر أو الموت، وقد أمر مالك جنده بذلك تحقيقاً لهذا"[2]، ولا يخفى ما فيه من إرهاب وتخويف للخصم.

المطلب الحادي عشر: الاغتيالات السياسية للقادة والمرموقين

إن الاغتيالات السياسية، وقتل القادة له أثر كبير على مع نويات الجند – خاصة في المعارك والحروب–، فبهلاك القائد تعم الفوضى والقلق والاضطراب، فالقائد هو الذي يدير المعركة ويوجهها، وهو واسطة العقد الذي إذا هلك انفرط العقد كله، ومن هنا كانت أهمية الاغتيالات السياسية وقتل القادة في الحرب النفسية.

إن أعظم قائد عرفه البشر هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الرسول المربي المعلم القائد، الذي أحبه أصحابه أيما حب، وتعلقوا به أيما تعلق، ولا شك أنّ فَقْدَه صلى الله عليه وسلم أثرُهُ كبيرٌ، ووقعه عظيم في نفوس أصحابه.

ولذلك فإن أبا سفيان سأل أول ما سأل يوم أحد، عن النبي صرلى الله عليه وسلم.

42- عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديثه عن غزوة أحد قال : فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَ مِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ... الحديث[3].

---

[1]- السيرة النبوية لابن هشام 5 / 104-107

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 166-167) من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق مرسلاً.

الحكم على الحديث: مرسل.

[2]- السيرة النبوية –عرض وقائع وتحليل أحداث– ص781.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، ح3039.

إسناده: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ.

"فهذا مُقَدَّم الكفار إذ ذاك لم يسأل إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر؛ لعلمه وعلم الخاص والعام أن هؤلاء الثلاثة هم رءوس هذا الأمر، وأن قيامه بهم . ودل ذلك على أنه كان ظاهرًا عند الكفلو أن هذين وزيراه وبهما تمام أمره، وأنهما أخص الناس به، وأن لهما من السعي في إظهار الإسلام ما ليس لغيرهما. وهذا أمر معلوم للكافر فضلاً عن المسلمين"[1].

ولقد نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن إجابة أبي سفيان، فكان "تركُ الجوابِ أولاً عليه أحسن، وذكره ثانياً أحسن، وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سأل عنهم إهانةً له، وتصغيراً لشأنه، فلما منَّته نفسُه موتَهم، وظنَّ أنهم قد قُتِلوا، وحصل بذلك من الكِبر والأشر ما حصل، كان في جوابه إهانة له، وتحقير، وإذلال، ولم يكن هذا مخالفًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تُجِيبوُه"، فإنه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمّد؟ أفيكم فلان؟ أفيكم فلان؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء، فقد قُتِلوا، وبكل حال، فلا أحسنَ من ترك إجابته أولًا، ولا أحسنَ من إجابته ثانيًا"[2].

ولما كان لقتل القائد هذا الأثر في تغيير مجريات المعركة، حرص الكفار على قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

43- عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول ... فذكر الحديث وفيه: وكانت وقعة بدر فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود؛ أنكم أهل الحلقة والحصون، وأنكم لتقاتلن صا حبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء -وهو الخلاخل-، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبراً؛ حتى نلتقي في مكان كذا نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فـأرسلوا إليه : كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدقناك، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر

تخريج الحديث: أخرجه البخاري – أيضا- من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.(صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد ح4043).

[1]- منهاج السنة النبوية 7 / 277.

[2]- زاد المعاد 3 / 202.

وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فَسَارَّه بخبرهم قبل أن يصل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فرجع النبي صلى الله عليه و سلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم : إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك ... الحديث[1].

إن محاولة اليهود قتل النبي صلى الله عليه وسلم بتحريض من مشركي قريش هي محاولة بائسة للقضاء على الإسلام، لكن الله خيب سعيهم، ورد كيدهم إلى نحرهم، فلم يمهلهم النبي صلى عليه وسلم بل حاصرهم حتى نزلوا على الجلاء، فأُخرِجوا من المدينة صاغرين.

إن هذا الأسلوب في الحرب النفسية لم يكن مقتصراً على الك فار، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حارب الكفار بالأسلوب نفسه.

44- عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَنَا . فَأَتَاهُ

---

[1]- مصنف عبد الرزاق 5 / 358.

إسناده: عن معمر عن الزهري قال: وأخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي .

تخريج الحديث:

أخرجه عبد الرزاق مختصرا - في موضع آخر- (مصنف عبد الرزاق 5 / 216) عن معمر به، غير أنه قال عبد الرحمن بن كعب بن مالك، بدل عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، ومن هذه الطريق نفسها أخرجه أبو داود مطولا (سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر النضير، ح3004).

رجال الإسناد:

-عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك : الصواب أنه عبد الرحمن بن كعب بن مالك، ويؤيد ذلك أن عبد الرزاق أخرجه في موضع آخر من مصنفه بالإسناد نفسه على الصواب، ومن طريقه أبو داود مثل ذلك .

قال ابن حجر : "أظن أنه انقلب وأنه عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك شيخ الزهري " (تعجيل المنفعة 1 / 750).

قال الباحث: فعبد الرحمن هذا إما أن يكون عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك فنُسِب إلى جده، أو أنه عبد الرحمن بن كعب، وكلاهما شيخ للزهري، وكلاهما تابعي، وكلاهما ثقة.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح

فَقَالَ: أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا[1] أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ : ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟! قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُ أَبْنَاءَنَا؟! فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ،- قَالَ سُفْيَانُ[2]: يَعْنِي السِّلَاحَ- فَوَعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ[3].

لقد كان لقتل كعب بن الأشرف أثراً كبيراً على نفوس اليهود والمشركين على حد سواء، فقد جاؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم خائفين قد ملأ الرعب قلوبهم.

* عَن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ-وَكَانَ أَحَدَ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ- ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ يَهْجُو النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ ... فَلَمَّا أَبَى كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَنْ يَنْزِعَ عَنْ أَذَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ أَنْ يَبْ عَثَ رَهْطًا يَقْتُلُونَهُ فَبَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَذَكَرَ قِصَّةَ قَتْلِهِ فَلَمَّا قَتَلُوهُ فَزِعَتْ الْيَهُو دُ وَالْمُشْرِكُونَ فَغَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا طُرِقَ صَاحِبُنَا فَقُتِلَ فَذَكَرَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ وَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ كِتَابًا يَنْتَهُونَ إِلَى مَا فِيهِ فَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً صَحِيفَةً[4].

ولقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب مع خالد بن سفيان بن نُبيح الهذلي الذي كان يجمع المُقاتِلَة من هذيل وغيرها، ويعد العدة لغزو المدينة.

45- عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ قَالَ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ أُقْشَعْرِيَرَةً. قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ

---

[1]- الوَسق: ستون صاعا، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز، وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق، على اختلافهم في مقدار الصاع والمد. النهاية في غريب الحديث 5/ 184.

[2]- يعني سفيان بن عيينة، راوي الحديث.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الرهن، باب رهن السلاح،ح2510.

إسناده: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم من طريق إسحاق بن إبراهيم بن مخلد وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن كلاهما عن سفيان بن عيينة به.(صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف، ح 1801.

رجال الإسناد: سفيان: هو ابن عيينة. عَمْرٌو: هو ابن دينار.

[4]- تقدم برقم (29).

عَلَيْهِ ... قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا، قَالَ: أَجَلْ أَنَا فِي ذَلِكَ. قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ[1].

لقد بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم خبرُ خالد بن سفيان، وأنه يعد العدة لغزو المدينة، فأرسل له النبي صلى الله عليه وسلم من يقتله، وبذلك انتهى أمره، وأمر جيشه الذي كان يعده للقتال، وهذا يظهر أثر قتل القائد، فبقتله تم إنهاء المعركة قبل أن تبدأ.

46- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّ هِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَ رَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ[2] فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ؛ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ؛ فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ : إِنْ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى

---

[1]- مسند أحمد 25 / 440.

إسناده: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ : عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ.

تخريج الحديث: أخرجه أبو داود (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الطالب، ح 1249)، وابن خزيمة (صحيح ابن خزيمة 2 / 91)، وأبو يعلى (مسند أبي يعلى 2 / 201) من طريق عبد الوارث بن سعيد، وأخرجه البيهقي (السنن الكبرى للبيهقي 3 / 256) من طريق محمد بن سلمة، كلاهما عن محمد بن إسحاق به، وصرح البيهقي في روايته بالراوي المبهم، وهو عبد الله بن عبد الله بن أنيس.

رجال السند:

-يعقوب: وهو ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

-محمد بن إسحاق: صدوق وهو ثبت في السيرة، وهو مدلس من الرابعة، وقد صرح بالسماع، وتقدمت ترجمته، انظر حاشية حديث رقم (38).

-ابن عبد الله بن أنيس: هو عبد الله بن عبد الله بن أنيس كما جاء مبينا في رواية البيهقي، ذكره ابن حبان في الثقات.

-باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[2]- السَّرْح: الماشية. النهاية في غريب الحديث 2/ 358.

أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ؛ إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ[1].

إن أبا رافع لم يكتف بإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان يعين أعداءه عليه، حتى أنه "أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجُعْل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليه هؤلاء النفر "[2]، فكان قتله إنهاء لإيذائه وإعانته على النبي صلى الله عليه وسلم، وإنهاء لغزو محتمل ممّن كان يحرضهم عليه.

المطلب الثاني عشر: الحصار وقطع المؤونة عن العدو:

لا شك أن الحصار يسبب ضغطاً كبيراً على نفوس المحاصرين، فالإنسان لا يستطيع الحياة دون طعام ولا ماء، وإن القيام بحصار يعني انقطاع هذه الأساسيات، وهذا يؤدي إلى القلق والإحباط، هذا مع ما يوقعه في نفوس المحاصرين من خوف ورعب، فينتج عن ذلك التثبيط، وإحباط المعنويات، وهذه هي الهزيمة النفسية.

ولقد استخدم الكفار هذا الأسلوب في حربهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإن الأحزاب لما تحزبوا وأتوا المدينة لغزوها وجدوا الخندق يحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث، فحاصروا المدينة من فوقها، وكان من أسفل منها يهود بني قريظة الذين "نقضوا العهد، ومالئوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظم الخطب، واشتد الأمر، وضاق الحال "[3]، وأحيط بالمدينة من كل مكان، فكان الأمر كما وصف الله تبارك وتعالى : **[إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا**] {الأحزاب :10} **[هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا]** {الأحزاب:11}

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، ح4039.

إسناده: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ،، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ.

تخريج الحديث : أخرجه البخاري أيضا من طريق يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق السبيعي به . (كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، ح4040).

[2]– مغازي الواقدي 1 / 394.

[3]– تفسير ابن كثير 11 / 123.

قال العز بن عبد السلام : "ابتلي المؤمنون : بالحصار، أو الجوع، أصابهم بالخندق جوع شديد، أو امتحنوا بالصبر على إيمانهم"[1].

لقد بلغت بهم شدة الجوع أن أصابتهم مجاعة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجراً.

47-عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ [2] شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ : "أَنَا نَازِلٌ " ثُمَّ قَامَ - وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ -، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا ... فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ[3].

أما الخوف فقد بلغ منهم مبلغه، وعمل فيهم عمله. لقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم منهم - وهم الصحابة- أن يذهب أحدهم فيأتي بأخبار المشركين، فما قام منهم أحد.

48-عَنْ يزيد بن شريك التيمي، قَالَ كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ [4]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ"، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ ... الحديث[5].

---

[1]- تفسير العز بن عبد السلام 1 / 895.

[2]- الكُدْيَة: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس. النهاية في غريب الحديث 4/ 156.

[3]- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب ح4101.

إسناده: حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذكره.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم(كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره، ح 2039) من طريق سعيد بن ميناء عن جابر به.

[4]- يوم قرّ، أي: بارد. النهاية في غريب الحديث (4 / 38).

[5]- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ح1788.

إسناده: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - جَمِيعًا-، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ.

دراسة رجال الإسناد: إبراهيم التيمي عن أبيه: هو يزيد بن شريك التيمي.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

لقد كان من شدة توقيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم إياه، أنه كان إذا أمرهم ابتدروا أمره، لكنْ هذا النبي صلى الله عليه وسلم يطلب أن يذهب أحدهم ليأتي بأخبار المشركين فما قام أحد، بل يضمن لمن يذهب أن يرجع سالماً، ثم يكون معه في الجنة فما قام أحد، وكرر الأمر فما قام أحد، بل بلغ بهم الخوف أن الواحد منهم لا يأمن على نفسه لو أراد أن يذهب لقضاء حاجته [1]، فكيف إذا أراد الذهاب إلى الأعداء بنفسه.

إذا كان الحصار يعمل هذا العمل في نفوس المؤمنين أصحاب الإيمان الصادق، والعقيدة الراسخة، الذين بذلوا الأموال والأنفس والمهج في سبيل الله، الذين قال الله في حقهم : **[وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا]** {الأحزاب:22} فكيف يكون حال من لا إيمان له إذا ما حُوصِر؟!

لا شك أن الحصار أسلوب ناجع في الحرب النفسية، فهو يحقق الأهداف المرجوة بأقل الأثمان، لذلك فإن النبي صلى الله عليه و سلم استخدم أسلوب الحصار العسكري والاقتصادي على أعداء الإسلام، ومن ذلك حصاره ليهود خيبر.

49- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ فَسِرْنَا ... فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ ... الحديث[2].

لقد حاصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام حصون خيبر حصناً حصناً حتى فتحها الله عليهم.

وحاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين يوماً حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه.

50- عن عائشة، قالت : خرجت يوم الخندق ..... وجعل سعد يقول : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة -وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية-، وكانوا ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، **[وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا]** {الأحزاب:25} ... الآية، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضرب قبة على سعد في المسجد، فوضع المسلمون

---

[1]- انظر: دلائل النبوة للبيهقي (3 / 435).

[2]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز، ح 4196.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَ زِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم من طريق حاتم بن إسماعيل به بنحوه (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، ح1802).

السلاح، ووضع سلاحه، فجاءه جبريل فقال : "يا محمد وضعت سلاحك، ولم تضع الملائكة أسلحتهم بعد! أخرج فقاتلهم"، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلأمته –يعني: الدرع– فلبسها، ثم خرج وخرج المسلمون معه، فمر ببني غنم، فقال : "من مر بكم؟" فقالوا: دحية الكلبي –وكان وجهه يشبه وجه جبريل ولحيته– ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليهم، وسعد في القبة التي ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحاصروهم شهراً أو خمسًا وعشرين ليلة، فاشتد عليهم الحصار، فقيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار أبو لبابة بن عبد المنذر إلى حلقه أنه الذبح، فقالوا: يا رسول الله، ننزل على حكم سعد بن معاذ قال فانزلوا فنزلوا ... الحديث[1].

---

[1]– مسند إسحاق بن راهويه 2 / 544.

إسناده: أخبرنا محمد بن بشر العبدي، نا محمد بن عمرو، حدثني أبي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عائشة

تخريج الحديث:

أخرجه الطبري مختصرا (تاريخ الطبري 2 / 99) عن ابن وكيع عن محمد بن بشر به.

وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن عمرو به . (مشكل الآثار 206/9).

وأخرجه أبو عوانة من طريق هشام بن عروة مرسلاً (مسند أبي عوانة 4 / 262).

دراسة رجال الإسناد:

–محمد بن عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي، ت: 145 هـ.

وثقه ابن المديني (سؤالات ابن أبي شيبة ص 94)، وابن معين (تهذيب التهذيب 334/9)، والنسائي (تهذيب الكمال 217/26)، وقال مرة:"ليس به بأس" (تهذيب الكمال 217/26)، وقال الحاكم: "قال ابن المبارك: لم يكن به بأس" (تهذيب التهذيب 334/9)، وذكره ابن حبان في الثقات، ثم قال:" وكان يخطئ" (الثقات 377/7).

وقال أبو حاتم: "صالح الحديث، يكتب حديثه، وهو شيخ " (الجرح والتعديل 30/8)، وقال الذهبي: "صدوق" (ذكْر من تُكلّم فيه وهو موثق ص 165)، وقال ابن حجر: "صدوق، له أوهام" (تقريب التهذيب ص884).

وقال ابن سعد: "كان كثير الحديث، يستضعف" (الطبقات الكبرى – القسم المتمم – ص 363).

وقال علي بن المديني: "قلت ليحيى – يعني: القطان–: محمد بن عمرو كيف هو؟ قال: تريد العفو أو تشدد؟ قلت: لا بل أشدد، قال: ليس هو ممن تريد ... قال يحيى: وسألت مالكًا عن محمد بن عمرو، فقال: فيه نحوًا مما قلت لك". (الجرح والتعديل 30/8)، وقال ابن المديني في موضعٍ آخر : "وكان يحيى بن سعيد– أي القطان– يضعفه بعض الضعف" (سؤالات ابن أبي شيبة ص 94).

قال الباحث: هو صدوق، فتضعيفه بعض الضعف لا ينزل به درجة القبول، خاصة إذا كان من مثل ابن القطان .

حكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى النساء والذرية، جزاء خيانتهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الله"[1].

وحاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع حتى نزلوا على حكمه، فأجلاهم.

51- عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم [عليه][2]، وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ... الحديث[3].

وحاصر بني النضير حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فأجلاهم.

52- عن عروة: ثم كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكانت منازلهم ونخلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة و الأموال إلا الحلقة - يعني السلاح.... الحديث[4].

كما حاصر الطائف إلا أن الله لم يشأ أن يفتحها عليهم في ذلك الحصار.

---

5) -عمرو بن علقمة بن وقّاص الليثي، روى عن غير واحد من الصحابة، وروى عنه جمع، ذكره ابن حبان في الثقات (5 / 174)، وصحح له، وصحح له الترمذي، وابن خزيمة (تهذيب التهذيب 8 / 70)، (وانظر: سنن الترمذي 4 / 149، صحيح ابن خزيمة 1 / 218، صحيح ابن حبان 1 / 514).

باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده حسن.

[1]- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، ح 3043، ومسلم(كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد، ح 1768) من حديث أبي سعيد الخدري.

[2]- كذا، ويظهر أنها زيادة.

[3]- السيرة النبوية لابن إسحاق 323/1.

إسناده: رواه محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، فذكره.

تخريج الحديث: أخرجه البيهقي (دلائل النبوة 3 / 174) من طريق محمد بن إسحاق به.

دراسة رجال الإسناد: عاصم بن عمر بن قتادة: ثقة، عالم بالمغازي.

الحكم على الحديث: مرسل.

[4]- مصنف عبد الرزاق 5 / 357.

إسناده: عن معمر، عن الزهري في حديثه عن عروة.

تخريج الحديث:

أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عقيل، عن الزهري به (تفسير ابن أبي حاتم 10 / 3345)

الحكم على الحديث: رجاله ثقات، إلا أنه مرسل.

53-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ : حَاصَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الطَّائِفِ، فَلَمْ يَفْتَحْهَا، فَقَالَ: "إِنَّا قَافِلُونَ[1] غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : نَقْفُلُ وَلَمْ نَفْتَحْ؟ ! قَالَ: "فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ "، فَغَدَوْا فَأَصَابَتْهُمْ جِرَاحَاتٌ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ "، فَكَأَنَّ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

ومن ذلك أيضا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمشورة الحباب بن المنذر رضي الله عنه.

54- عن ابن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وحدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بك ر، وغيرهم من علمائنا، فبعضهم قد حدث بما لم يحدث به بعض، وقد اجتمع حديثهم فيما ذكرت لك من يوم بدر، قالوا : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكباً من قريش تجاراً قافلين من الشام ..... فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى نزل بدراً فسبق قريشاً إليه، فلما جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتعداه ولا نقصر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال الحباب: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، ولكن انهض حتى تجعل القُلُبَ[3] كلها من وراء ظهرك، ثم غَوِّرْ [4] كل قَلِيْب بها إلا قليباً واحداً، ثم احفر عليه حوضاً، فنقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال : "قد أشرت بالرأي"، ففعل ذلك ... الحديث[5].

---

[1]- القُفُولُ: رجوع الجُنْدِ بعدَ الغَزْوِ، ومنه اشتُقَّ اسم القافِلةِ لرجوعهم إلى الوطن. (كتاب العين 5/ 165).

[2]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ح 7480.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري عن علي بن المديني (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح 4325)، ومسلم (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غز وة الطائف، ح 1778) عن أبي بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب وابن نمير، أربعتهم عن سفيان بن عيينة به.

[3]- القُلُب: جمع قَلِيب، وهو البئر. النهاية في غريب الحديث 4/ 98.

[4]- الماء الغائر: الذي لا يقدر عليه. النهاية في غريب الحديث 3/ 393.

[5]- دلائل النبوة للبيهقي 3 / 31.

إذا كان الإنسان يمكن أن يصبر على الجوع لأيام، فإنه بالكاد يستطيع أن يصبر على العطش، فكيف إذا كان يبذل جهداً، وأي جهد هذا الذي يبذله المقاتل؟ لا شك أن منع الماء عن الجيش يؤثر في معنوياته، ويفت في عضده، فيوقع به الهزيمة النفسية.

ومن الحصار الاقتصادي خروجه صلى الله عليه وسلم فيما يزيد على الثلاثمائة مع أصحابه لقطع الطريق على قافلة قريش.

55- أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ[1].

ومما يذكر في الحصار الاقتصادي أيضاً ما كان من ثمامة بن أثال –سيد أهل اليمامة– رضي الله عنه، والذي أسرته سرية وهو يريد العمرة، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي نهاية الأمر أسلم، وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب لأداء العمرة.

56- عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ ... فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ

إسناده: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال : أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، قال : حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال : حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، وحدثني الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2 / 29) من طريق سلمة بن الفضل، وابن هشام (السيرة النبوية لابن هشام 3 / 167) عن زياد بن عبد الله البكائي، كلاهما عن ابن إسحاق قال : حُدِّثتُ عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر ... فذكر الحديث بنحوه.

دراسة رجال الإسناد: رجاله ثقات عدا:

–أحمد بن عبد الجبار، ويونس بن بكير، تقدمت دراستهما (انظر حديث رقم 30)، وكلاهما صدوق، وبقية رجاله ثقات.

الحكم على الحديث: مرسل.

[1]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، ح3951.

إسناده: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تخريج الحديث: أخرجه مسلم (كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، ح 2769) من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب الزهري به.

أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

زاد البيهقي: "فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَتْهُ قُرَيْشٌ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ مِنَ الإِسْلاَمِ قَالُوا : صَبَأَ ثُمَامَةُ، فَأَغْضَبُوهُ فَقَالَ : إِنِّى وَاللَّهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنِّى أَ سْلَمْتُ، وَصَدَّقْتُ مُحَمَّدًا، وَآمَنْتُ بِهِ، وَايْمُ الَّذِى نَفْسُ ثُمَامَةَ بِيَدِهِ لاَ تَأْتِيكُمْ حَبَّةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ –وَكَانَتْ رِيفَ مَكَّةَ– مَا بَقِيتُ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَدِهِ، وَمَ نَعَ الْحَمْلَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى جُهِدَتْ قُرَيْشٌ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَهُ بِأَرْحَامِهِمْ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى ثُمَامَةَ يُخَلِّى إِلَيْهِمْ حَمْلَ الطَّعَامِ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[2].

لقد عمل الحصار فيهم عمله حتى أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يرجونه أن يفك عنهم الحصار، قريش صارت ترجو النبي صلى الله عليه وسلم، لقد تغيرت موازين القوى، وظهرت عزة الإسلام، ويبين ذلك أن هذا الحصار كان قبل فتح مكة، قال ابن كثير : "الظاهر من سياق قصته أنها قبيل الفتح"[3].

المبحث الثاني: وسائل الحرب النفسية الصهيونية في معركة الفرقان وكيف تمت ومواجهتها.

كان العدو الصهيوني يُبَيِّتُ النِّيَّة لاستهداف قطاع غزة، بعد انتهاء تهدئة دامت ستة أشهر، في حال كان الناس جميعًا في القطاع مطمئنين، إذ كانت الأجواء تنبئ استم رار لتهدئة لم تخلو من بعض المناوشات هنا وهناك، وخروقات من قبل العدو الصهيوني.

وقد أعلنت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) رفضها لتمديد التهدئة لأن العدو الصهيوني لم يلتزم باستحقاقاتها، من رفع للحصار عن قطاع غزة، وتوقف للغارات الجوية، فقد قامت القوات الصهيونية قبل انتهاء التهدئة بتنفيذ غارة على قطاع غزة نتج عنها قتل ستة أعضاء من حماس، إلى غير ذلك من خروقات للتهدئة، ومنذ انتهاء التهدئة يوم الجمعة 19 ديسمبر 2008 قامت عناصر تابعة لحركتي حماس والجهاد الإسلامي في غزة بإطلاق أكثر من 130 صاروخًا وقذيفة هاون على مناطق في جنوب فلسطين المحتلة، لكن كانت التطمينات من الطرف المصري بأنهم

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، 4372.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ.

تخريج الحديث: أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، ح 1764) عن قتيبة بن سعيد، عن الليث به.

[2]– السنن الكبرى للبيهقي 9 / 66.

[3]– السيرة النبوية لابن كثير 4 / 93.

على وشك الوصول إلى اتفاق مع الصهاينة يقتضي تمديد التهدئة، مع التزام باستحقاقاتها يبعث على الاطمئنان، ولم يكن أحد يتوقع هجومًا إجراميًّا من قبل الصهاينة.

بدأ العدوان الصهيوني يوم السبت 27 ديسمبر 2008 في الساعة 11:30 صباحًا بالتوقيت المحلي، 9:30 صباحًا بتوقيت غرينيتش، استخدم جيش العدو في هذا الهجوم ما لا يقل عن 80 طائرة حربية، حيث استهدفت العملية العسكرية في بدايتها كل المقار الأمنية في قطاع غزة، والمقار التابعة لحركة حماس، وأدى القصف إلى استشهاد أكثر من مائة من قوات الشرطة والأمن.

وفي الساعة التاسعة من ليل يوم 3 يناير 2009 بدأ الهجوم البري المدعوم بأعداد كبيرة من الجنود الإسرائيليين، وذلك بقرار من المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر خلال جلسة سرية عقدها بمشاركة قوات من أسلحة المشاة والمدفعية والهندسة ووحدات خاصة.

شاركت البوارج والدبابات والمدفعية إلى جانب الطيران في إغراق القطاع بالصواريخ والقذائف، ارتكب من خلالها الجيش الإسرائيلي مجازر إحداها في مسجد إبراهيم المقادمة أوقعت 16 شهيداً بينهم 4 أطفال و60 جريحًا، كما استدعى الجيش آلافًا من جنود الاحتياط للمشاركة في العملية، معلنًا أن الغزو سيستمر أيامًا.

ومن جهتها قامت فصائل المقاومة بعدة عمليات، أهمها استهداف مواقع إسرائيلية بواسطة صواريخ قصيرة المدى، وصواريخ الغراد متوسطة المدى.

أسفرت الحرب في نهايتها عن استشهاد 1417 فلسطينيًّا على الأقل (437 طفلًا أعمارهم أقل من 16 عامًا، و110 من النساء، و123 من كبار السن، و14 من الطواقم الطبية، و4 صحفيين.) وإصابة 5450 آخرين، إلى جانب مقتل 48 جندياً إسرائيلياً، وإصابة 228 آخرين حسب اعتراف الجيش الإسرائيلي، لكن المقاومة أكدت أنها قتلت قرابة 100 جندياً خلال المعارك بغزة.

الحرب النفسية الصهيونية في معركة الفرقان وتصدي المقاومة لها:

لقد بينا في بداية هذا البحث أهمية الحرب النفسية، وأنها موجودة بوجود الإنسان، وإنْ كانت وسائلها وتطبيقاتها تتطور بتقدم الزمان، فلا غَرْوَ أنْ تأخذ الحرب النفسية أهمية كبيرة في حروب هذا الزمان، خاصة مع وجود الأسلحة ذات التدمير الكبير، الذي قد يمتد تدميرها إلى صاحب السلاح نفسه، لذلك بات التركيز على الحرب النفسية في هذا الزمان أكبر من أي وقت، لتجنب الآثار المترتبة على استخدام الأسلحة المدمرة في الحرب العسكرية قدر الإمكان، هذا مع إدراك الساسة والعسكريين والإعلاميين في هذا الزمان أن استخدام أساليب الحرب النفسية في حرب عسكرية ذات أسلحة تقليدية، يمكن أن تحقق كل ما تنشده الدول من شن حرب عسكرية ذات أسلحة مدمرة، بل قد تحقق الأولى نتائج أكبر من الثانية.

لم يكن العدو الصهيوني بمنأى عن استغلال الحرب النفسية في تحقيق أهدافه، فإن العدو الصهيوني لم يترك وسيلة من وسائل الحرب النفسية إلا واستخدمها في حربه على الشعب الفلسطيني منذ احتلاله لفلسطين عام 1948.

بدأ العدو الصهيوني حربه عندما قرر في أول مؤتمر صهيوني شن حرب نفسية لا تهدأ لجمع الشتات اليهودي وإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين العربية الإسلامية مستغلًا في ذلك وعد رئيس الوزراء البريطاني بلفور، وقد بنى استراتيجيته لشن الحرب النفسية والدعاية، على مزاعم وأكاذيب.

وترجع استخدامات الحرب النفسية والإعلام الدعائي النفسي من قِبل الاحتلال الصهيوني إلى بدايات الحركة الصهيونية نفسها، التي أدركت أهمية الدعاية ودورها في تحقيق أهداف الصهيونية، فاعتمدت الدعاية بشتى الوسائل والأساليب جنبًا إلى جنب مع إنشاء المؤسسات الإرهابية التي اعتمدت على القوة، واتخذت من الإرهاب والقتل منهجاً لها، ولما كان الهدف الأساسي للصهيونية والدعاية الإسرائيلية وسائر أساليب الحرب النفسية الاستراتيجية منها والتعبوية هو جمع الشتات اليهودي، وتوطينهم في فلسطين ثم إنشاء الكيان، ثم استمرار الكيان (بالعدوان والاستيطان والتوسع حيث إن طبيعة الكيان الصهيوني هي طبيعة عنصرية عدوانية استيطانية توسعية استعمارية) إذا كانت هذه هي الأهداف للحركة وحربها النفسية منذ البداية، فقد استغلت واستفادت الحركة الصهيونية في عملها الإعلامي الدعائي النفسي من كافة المدارس النفسية الدعائية في التاريخين القديم والحديث ومن التجارب المعاصرة كالتجربة النازية.

ولم تختلف الحرب النفسية الصهيونية في حروبها وعلى مدار الأعوام السابقة منذ نشأتها عن دعايتها في حربها الأخيرة على قطاع غزة التي بدأت في 27 ديسمبر / كانون الأول 2008 واستمرت 22 يوماً.

وأرفقت قوات الاحتلال الصهيونية عدوانها المتواصل على قطاع غزة والذي تستخدم فيه أسلحة جديدة محرمة دوليًا، بأساليب جديدة أيضًا في الحرب النفسية بهدف التأثير على الفلسطينيين، ليس في القطاع فحسب وإنما في الضفة أيضًا.

الحرب النفسية الصهيونية في معركة الفرقان:

تمثلت ملامح الحرب النفسية الصهيونية في معركة الفرقان فيما يلي:

أولاً: المفاجأة والمباغتة، والخداع:

لقد استخدم الصهاينة أسلوب المفاجأة والمباغتة وأساليب مختلفة من الخداع والتضليل والتمويه، استبقت الضربة لتعطي انطباعًا أن طبول الحرب لم تدق بعد ، فكانت التطمينات التي نقلها نظام

عربي للحكومة الفلسطينية في غزة ، وكان فتح المعبر يوم الجمعة قبل الحرب بيوم واحد ، وكان الإعلان المسبق عن عقد جلسة خاصة للمجلس الوزاري الإسرائيلي يوم الأحد – بعد الحرب بيوم واحد– للبحث في كيفية التعامل مع الوضع الناشئ في غزة ، وفي ظهر يوم السبت ووفق الخطة الموضوعة شنت أكثر من ستين طائرة حربية ضربات متزامنة استهدفت البشر والشجر والحجر ، لإيقاع أكبر عدد ممكن من الشهداء والجرحى في صفوف حماس وأجهزتها، لتفقدها السيطرة، وتضعف قوتها، وتحملها على الاستسلام.

ثانيًا: بث الرعب بإطلاق اسم الرصاص المصبوب على الحرب الإجرامية.

لقد أطلق الاحتلال على حربهم الإجرامية اسم "الرصاص المصبوب"، أو "الرصاص المسكوب"، والذي يدل معناه على بلوغ الرصاص درجة الانصهار الذي يسهل صبه أو سكبه، ليحرقَ بل يذيبَ كل من أصابه، وهذا كناية عن شدة سخونة الحرب، وهولها، وما سيكون فيها من إفراط في استخدام القوة استخدامًا غير مسبوق، مع ما فيها من كناية عن قدرتهم الكبيرة على كسر المقاومة دون أي خسارة تذكر.

ثالثاً: الدعاية الصهيونية والتحريض على حركة حماس.

من المؤكد أن للدعاية الإسرائيلية مقاصد محدّدة من هذا التوجّه المركّز، وأحد هذه المرامي، يتضح في محاولة تصوير حركة حماس بكافة أقسامها ومجالات حضورها ونشاطها وأجنحتها المتخصصة على أنها حالة أحادية متجانسة. وبهذا تدفع الآلة الإسرائيلية الدعائية باتجاه تبرير الاستهداف الشامل لكل البنى والهياكل والمؤسسات والأشخاص في قطاع غزة، حتى في المجالات ذات الحصانة الشديدة، كالمساجد والجامعات والمدارس مع ترويج روايات مختلقة كذرائع تأتي جاهزة بدون عناء.

ومن جانب آخر فإن الدعاية الإسرائيلية ترمي إلى تقديم صورة مُقَولبة عن حركة حماس، خلافاً للواقع باعتبارها مجرد ذراع عسكري يطلق الصواريخ، بما يخدم أهدافاً مُبهمة جرى الحديث عنها إسرائيلياً من قبيل تقويض حركة حماس.

ويذهب التوجه الإسرائيلي إلى محاولة تأليب الشعب ضد حماس وعدم الوقوف معها في مواجهة الاحتلال فقد أعلنوا قبل الحرب بزمن ليس ببسيط واستمروا بإعلانهم خلال الحرب أن هدف الحرب هو المقاومة وحماس وليس الشعب، وفي ذلك محاولة لتفريق وتمزيق الجبهة الداخلية، ومحاولة منهم لدفع الشعب إلى لفظ المقاومة ومظاهرها والتخلي عنها، وبالتالي التظاهر ضدها، وأنهم ليسوا في حالة عداء مع كل الشعب الفلسطيني بل مع حماس التي تأسر الشعب وتتحكم في مصيره.

ومن الاستنتاجات المثيرة للانتباه أن مضامين الدعاية الإسرائيلية وجدت انعكاسات وأصداءً، وتأثيرات ارتدادية، في الخطاب السياسي لبعض الدول والأطراف العربية.

وهناك في المحصِّلة مسؤولون عرب وفلسطينيون مضَوْا بعيدًا في تحميل حركة حماس المسؤولية الكاملة أو الجزئية عن اندلاع الحرب، وأخذت الآلات الإعلامية الرسمية هنا وهناك تلوك الموقف الرسمي المعلن على طريقتها، كما لوحظ أن تقارير قنوات إخبارية ومحطات تلفز يون وصحف ومواقع إلكترونية، قد عبّرت بدرجة نسبية متفاوتة.

رابعًا: نشر الشائعات والأكاذيب

هَيّأ العدو الأجواء ليطلق الطابور الخامس سلسلة من الشائعات والأكاذيب والأراجيف، والروايات المغلوطة، والتي تتعلق بموضوعات لها أهمية بالغة لدى الناس في ظل ظروف الحرب الحرجة، وذلك بهدف اضعاف الروح المعنوية، وزعزعة الثقة بالنفس وبالقدرات، وضرب القدرة على الصمود والتحدي، وإحداث حالة من الفوضى والفلتان، وفي هذا السياق انتشرت شائعات كثيرة عن تحذيرات بالقصف أطلقها الصليب الأحمر لبيوت ومواقع ومؤسسات .

خامسًا: التعتيم الإعلامي على ما يحدث للفلسطينيين، وتضخيم ما يصيب الصهاينة

لجأ الاحتلال إلى التعتيم الإعلامي على ما يجري في الميدان وساحات المعارك من مجازر في عدوانه على قطاع غزة وقام بتضخيم ما يصيب الصهاينة.

وفي هذا الشأن، يقول الصحفي روبرت فيسك في مقال له بصحيفة ذي إندبندنت : إن الدعاية الإسرائيلية لها جغرافية خاصة بها تقوم على محاولة طمس ما يتعرض له الفلسطينيون وتضخيم ما يصيب الإسرائيليين، معبراً عن استيائه من العبارات الممجوجة التي يرددها الموالون للصهاينة لتبرير تدمير جيش الاحتلال لغزة.

ويوضح فيسك أن "دعاية إسرائيل لها جغرافيته ا الخاصة بها المصممة بعناية تجعلنا نحن ذوي القلوب الرقيقة –نحن الليبراليون الرضع المدللون القاطنون في بيوت غربية آمنة– ندرك مدى الرعب الذي خلفه مقتل 12 إسرائيلياً خلال عشر سنوات بسبب سقوط آلاف الصواريخ على إسرائيل – (فلسطين المحتلة)– ومدى القلق الذي ينتاب من يقطنون قرب غزة".

ويؤكد فيسك أن ما يريده الإسرائيليون هو جعل الغرب ينسى كل قتلى الفلسطينيين في الحرب على قطاع غزة ويتعاطف مع الإسرائيليين على خلفية ما أصابهم في السنوات العشر الأخيرة.

ويجلب فيسك أمثلة على الدعاية الإسرائيلية ويقول : "قرأت في صحيفة ناشيونا ل بوست الكندية كيف حاول لورن غونتر تفسير ما يجري في غزة بطريقته الخاصة فقال غونتر "تصور أنك تعيش في حي "دون ميلس " وأن قاطني حي "سكاربور " –الذي يبعد عشرة كلم– يطلقون حوالي مائة

صاروخ يومياً على حديقتك ومدرسة أطفالك والمجمع التجاري بشارعك ومكتب طبيب أسنانك ...".
وهنا يقول فيسك الرسالة واضحة وهي أنك لن تقبل ذلك وستدافع عن نفسك، مما يعني أن لإسرائيل كل الحق في سحق الفلسطينيين دفاعاً عن النفس، حسب هذا المنطق.

وأشار الكاتب إلى أنه قرأ نسخة طبق الأصل من هذا التصور بعد ذلك بيومين في مقال وقعه 16 كاتباً وأكاديمياً وخ بير اقتصاد موالين لإسرائيل في صحيفة لابريس الصادرة باللغة الفرنسية بمونتريال حاولوا فيه وصف ما ينتاب المستوطن الإسرائيلي وهو يتعرض لهجمات الصواريخ الفلسطينية.

وتتكرر هذه الدعاية – حسب فيسك– بنفس الأسلوب بعد يومين في صحيفة ذي آيريش تايمز عبر رسالة للسفير الإ سرائيلي بالعاصمة الايرلندية دبلن حاول فيها توضيح ما ينتاب الإسرائيليين وهم يتعرضون للهجمات الصاروخية الفلسطينية ، قبل أن ينهي مقاله بنفس السؤال : لو كانت دبلن تعرضت للقصف بثمانية آلاف صاروخ وقذيفة ، فكيف سيكون ردك على ذلك؟ [1] وبالتالي يتضح مدى تركيز الدعاية الصهيونية على إخفاء جرائمها بحق شعبنا الفلسطيني، وتبريرها لذلك.

سادسًا: استخدام الوسائل الصهيونية الناطقة باللغة العربية:

وفي الوقت نفسه فإن إسرائيل تستخدم وسائل إعلامها الرسمية الناطقة باللغة العربية، والتي يتم التقاطها في الضفة الغربية وقطاع غزة وبعض الد ول العربية في محاولة تشويه حركة حماس . فالتلفزيون الإسرائيلي والإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية عادة ما يمنحان معلقين يهود يتحدثون اللغة العربية بطلاقة مساحة كبيرة لمهاجمة حماس ويتهمون قيادتها بأنها تتخذ من مستشفى "دار الشفاء" في غزة ملجأ لها وأن مقاتلي حماس يرتدون زي العاملين في القطاع الطبي، وأن كثيراً من الوحدات في "كتائب القسام" قد انهارت، وأن نشطاء "الكتائب" قد خلعوا زيهم العسكري وباتوا يختبئون وسط الناس.

ولكن الحملات الدعائية – والحديث للنعامي– التي يعرضها الجيش الإسرائيلي تتناقض مع الحقائق التي تعرضها المستويات العسكرية . فالقادة العسكريون الإسرائيليون الذين يقودون الحملة على القطاع عكفوا منذ الشروع في الحملة وحتى الآن على التأكيد على أن "كتائب عز الدين القسام" لم تتأثر قوتها، وأنها قادرة على مواصلة القتال إلى فترة طويلة . ويذكر أنه قد تم قبل العام كشف ا لنقاب في إسرائيل عن قيام شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية المعروفة بـ "أمان"

---

[1]– موقع الجزيرة نت الإخباري، نقلا عن صحيفة ذي إندبندنت، مقال بعنوان "جغرافية الدعاية الإسرائيلية : http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=1166292

باستئناف عمل "وحدة الحرب النفسية " في الشعبة والتي تعنى بالتأثير على معنويات الفلسطينيين والعرب خلال المواجهات العسكرية[1].

سابعاً: ممارسة القرصنة على أثير الإذاعات المحلية، و توجيه رسائل رعب وتخويف للمواطنين، وتزويدهم بمعلومات كاذبة مفبركة عن المقاومة وزعمائها.

يقول النعامي: قام الجيش الصهيوني مستغلاً تفوقه التقني باختراق بث إذاعة صوت الأقصى وبث مواد دعائية تتهم حركة حماس بأنها حركة "إرهابية " وأنها "لا يعنيها مصلحة الشعب الفلسطيني"، وأنها "أداة في يد إيران وعدوة للسلام "، وغيرها من الاتهامات التي عادة ما تتهم بها الحركة[2].

ثامنًا: اختراق موجات الفضائيات وخاصة فضائيتي الأقصى والقدس ، وسرقة البث وتوجيه رسائل دعائية ضد المقاومة ورموزها وركزوا على العديد من القادة وخاصة قادة حركة حم اس أمثال خالد مشعل، وإسماعيل هنية، ومحمود الزهار، وخليل الحية، وأحمد الجعبري، ومحاولة وصفهم بأنهم أخطئوا الحسابات وفروا وورطوا الشعب وأنهم خائفون ومختبئون... كما كانوا يشككون في خطاباتهم وكلماتهم للشعب.

وفي مقال للصحفي صالح النعامي يستعرض بعض وسائل الدعاي ة الإسرائيلية خلال الحرب ويقول : "الذين يتابعون فضائية الأقصى خلال الحرب يفاجؤون باختراق الجيش الإسرائيلي ترددها، وبث مواد دعائية ضد الحركة أحد المواد الدعائية تهاجم قيادات حركة حماس في الوقت الذي تتعرض فيه غزة للقصف. وفي محاولة لكسر الروح المعنوية لمشاهدي الفضائية التي تفترض إسرائيل أنهم من أنصار حركة حماس، تعرض أحد المواد الدعائية صورة كرتونية لمقاتل من كتائب القسام وهو يرتجف خوفاً ويفر من ساحة المعركة"[3].

تاسعًا: الاتصالات العشوائية

لقد استغل الصهاينة كل الوسائل التكنولوجية المعاصرة في حربهم النفسية، ومن ذلك استخدامهم لتكنولوجيا الاتصالات، واستخدم الاحتلال تكنولوجيا الاتصالات بطريقتين:

---

[1]– موقع صحيفة الشرق الأوسط، صالح النعامي، وسائل الدعاية الإسرائيلية خلال الحرب .

[2]– المرجع السابق نفسه.

[3]– موقع صحيفة الشرق الأوسط، صالح النعامي، وسائل الدعاية الإسرائيلية خلال الحرب .

الأولى : إرسال رسائل صوتية مسجلة عشوائية إلى أرقام هواتف كثيرة، تأمر الناس بالخروج من بيوتهم إن كان فيها أسلحة للمقاومة، وتهددهم بتدميرها فوق رؤوسهم، وتحذرهم من مغبة تقديم العون والمساعدة للمقاومة، كما أنها تضع اللوم في نشوء هذه الحرب على المقاومة.

الثانية: إرسال رسائل مكتوبة إلى الهواتف المحمولة، تتضمن نحو ما تضمنته الرسائل الصوتية.

وهذا كله يهدف إلى بث الرعب، وإرباك الناس، وتخويفهم، ودفعهم إلى الامتناع عن مد يد العون للمقاومة، وبالتالي عزل المقاومة عن الناس، لتجد المقاومة نفسها وحيدة في الميدان، فيستأثر العدو بها.

عاشرًا: إلقاء المناشير من الطائرات في نواحٍ متعددة فوق قطاع غزة.

وقد كانت هذه المناشير تحتوي على تحذير للمواطنين من تقديم أي عون أو مساعدة للمقاومين، أو إيوائهم في بيوتهم، كما تحمل المقاومة المسئولية الكاملة عن الحرب، وعن الخسائر التي يتكبدها المواطنون من جراء الحرب.

حادي عشر : التصريحات الإعلامية التي خرج بها قادة العدو عبر وسائل الإعلام المختلفة : والتي تفيد بأن الضربة الأولى – والتي أوقعت عددًا كبير من الشهداء، وأض عاف ذلك من الإصابات– ما هي إلا بداية الحرب فقط، وهي مقدمة لاجتياح واسع، وأن الحرب ستطول، ويمتد أمدها إلى حين القضاء على المقاومة، وكسر شوكتها.

ثاني عشر : التجرؤ على قصف المساجد بمن فيها، والبيوت على قاطنيها كما حدث في بيت الشهيد الأستاذ الدكتور نزار ريان وعائلته، وفي ذلك توصيل رسالة للناس بأنه لا خطوط حمراء ولا حصانة للمقدسات فالأمر جد خطير.

ثالث عشر : قصف المؤسسات الإعلامية حيث قامت قوات الاحتلال بقصف مبنى فضائية الأقصى، ومبنى جريدة الرسالة، كما وقصفت برجين ممتلئين بالمكاتب الإعلامية المحلية والعربية والدولية، وهما برج الجوهرة وبرج الشروق، وهذا خلاف ما قامت به قوات الاحتلال من قصف لبيوت الصحفيين وقتلهم، كما حدث مع الصحفي إيهاب الوحيدي وعائلته، والصحفي علاء مرتجى وعائلته ... كل ذلك بغرض طمس الحقيقة، وتخويف الإعلاميين لئلا ينشروا الأخبار التي تضر بمصالحه، والتي تخدم المقاومة.

رابع عشر : قطع التيار الكهربائي عن أجزاء كبيرة من قطاع غزة ، وذلك لبث الرعب في نفوس الناس، وتعمية الأخبار عنهم.

خامس عشر: التشويش على البث الفضائي، والبث الإذاعي ، وذلك لحجب الأخبار وتعميتها عن الناس.

سادس عشر: منع الصحفيين من الدخول إلى قطاع غزة عبر المعابر التي يسيطر عليها العدو.

سابع عشر : حجب المعلومات عن الإعلام الدولي والاعتماد على الإعلام العسكري الصهيوني، لتوصيل المعلومات التي تخدم أهداف الاحتلال فقط.

ثامن عشر : القيام بحملة دبلوماسية واسعة قبل بدء الحرب ووقت وقوعها لتبرير العدوان على قطاع غزة، والحصول على غطاء دولي لما وقع في الحرب من جرائم ومجازر جماعية.

تاسع عشر: صنع سيناريو سياسي وإعلامي لوقف الحرب، لإيهام العالم أنه تم إيقاف الحرب بإرادة الاحتلال واختياره، بعدما تحققت أهدافه من وراء الحرب، وذلك بهدف الاستمرار في الدعاية التي صنعها الاحتلال لجيشه، والحفاظ عليها (الجيش الذي لا يقهر)، مع أن الحقيقة أن جيش الاحتلال انسحب دون أن يحقق أهدافه.

عشرون : التصريحات والمقالات والتحليلات التي تحمل حركة حماس المسؤولية المباشرة عن الحرب، وتبرِّئ ساحة الاحتلال من أي مسؤولية عن نشوء الحرب.

الحادي والعشرون: استخدم الاحتلال الدين المحرّف والحاخامات لرفع معنويات جيشه المنهارة ، فقد بثت القناة الصهيونية الأولى 8-2-2010-دقيقة 00.01

إن أكبر حق لدينا هو : (ارتداء) زينا العسكري؛ والفريضة الكبرى التي سنؤديها الآن (الصلاة): "اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ قَرُبْتُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ. لاَ تَضْعُفْ قُلُوبُكُمْ. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعِدُوا وَلاَ تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِكَيْ يُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ". فيا إلهنا ساعدنا !

- يا إلهنا ساعدنا !
- يا إلهنا نجحنا !
- يا إلهنا نجحنا ! اسمع يا إسرائيل : إن ربنا هو إله واحد !
- يا إلهنا نجحنا ! اسمع يا إسرائيل : إن ربنا هو إله واحد !
- يا إلهنا ساعدنا !
- يا إلهنا ساعدنا !

الوعي اليهودي الحربي

المراسل : تَدَخُّل السماء سيساعد ال جيش الإسرائيلي هذه المرة في النصر في "الرصاص المصبوب"! هذه هي الرسالة التي تم نقلها للمحاربين الذين قاموا بالإعداد المحموم للمعركة، وأثناء فترة التدريبات قبل دخول غزة ، وزعوا على الجنود آلاف الكتيبات والمنشورات التي تحتوي على رسائل يهودية (دينية).

الحرب النفسية في معركة الفرقان و دور التربية الإسلامية في مواجهتها

قال شمير ياجار قائد سرية في كتيبة الاحتياط : منذ اللحظة الأولى التي وصلنا فيها إلى الموقع العسكري؛ بدأنا نقابل بعض الذين قاموا بتوزيع "أسفار زوهر "! وصلوات الطرق (دعاء السفر)، صلاة .. وغيرها ، وجدير بالقول أنه في الأيام الأولى – بالنسبة لي على الأقل– لم أستوعب الأمر! فالأمر بدا لي غريباً ! ولكنه ليس أمراً يمكن أن يدل على حدوث تغير في التوجه!

المراسل مناحيم هدار : نحن نصلي من أجلكم ! نجحنا ، الضمير اليهودي ، الجيش الإسرائيلي سينتصر، سر الشعب الإسرائيلي ! بعض هذه المنشورات قام بإعدادها القسم الجديد في قسم "الوعي اليهودي"، وهو بمثابة سن الرمح بالنسبة للحاخامية العسكرية

وعندها بدأ طرح الأمثلة؛ وهي : أنكم عندما تدخلون غزة سترافقكم قوافل الملائكة التي ستحرسكم من الأعالي؛ فالشعب اليهودي عبر الأجيال ينظر إليكم كممثليه ومبعوثيه الذين يخرجون الآن للمعركة!

في "الرصاص المصبوب"(حرب الفرقان) دخل الحاخام "رونسكي" مع الجنود لأطراف "جباليا" ! فالحاخامات في جيش الاحتياط يشاركون في التواجد في "كُنس ميدانية "؛ تماماً مثل : الطبيب ، مرافق القائد؛ أو ضابط الاتصال ! في عملية "الرصاص المصبوب " اعتبرت الحاخامية العسكرية سلاح يعمل على رفع معنويات الجيش الإسرائيلي.

تصدي المقاومة للحرب النفسية ومواجهتها:

أمّا من جهة المقاومة فتمثلت ملامح حربها النفسية على النحو التالي:

أولًا: تسمية المعركة بمعركة الفرقان، تفاؤلًا بالنصر، وتيمنًا بمعركة الفرقان الكبرى (غزوة بدر) فقد صدر بيان مكتوب عن رئيس الوزراء إسماع يل هنية، تم توزيعه على وسائل الإعلام المختلفة بعد سويعات من بداية الحرب يعلن فيه فشل الهجمة الصهيونية، ويدعو للصبر الصمود، ثم في مساء اليوم الأول للحرب خرج بكلمة متلفزة أكد فيها على المعاني التي دعا إليها في البيان، وأطلق على الحرب اسم حرب الفرقان، مبشرً ا بانتصار الشعب الفلسطيني وفشل العدوان الصهيوني، وهذا الظهور أبطل مفعول الصدمة التي أراد العدو من ورائها بث الرعب في صفوف الشعب والمقاومة، ثم إن هذا الظهور ترك أثرًا كبيرًا في رفع معنويات أبناء الشعب الفلسطيني، والمقاومة على وجه الخصوص.

ثانيًا: إطلاق المقاومة اسم بقعة الزيت على عملياتها الصاروخية إشارة إلى إمكانية توسيع هذه البقعة، وذلك لسرعة انتشار بقعة الزيت وسهولته، وهذا نوع من الحرب النفسية على المجتمع الصهيوني أنهم ليسوا في مأمن، وأنهم سيصطلون بنار الحرب التي شنها جيشهم على قطاع غزة، وهو الذي تسبب في عيشهم في خوف ورعب وقلق من صواريخ المقاومة، وأن هذه الصواريخ

سيتسع مداها، حتى أن الإعلام الصهيوني كان يردد عبر وسائله بأن المقاومة لديها الإمكانيات لضرب تل الربيع (تل أبيب) ومفاعل ديمونه النووي، وهذا كان له أثر على معنويات العدو حتى أنه تم إخلاء المستوطنات الواقعة على حدود قطاع غزة، وتم ترحيل المستوطنين إلى بضع الفنادق التي تبرع بأجرتها أحد أغنياء الصهاينة، مما كان له الأثر الكبير في رفع معنويات المقاومة.

ثالثًا : خروج القادة والناطقين الإعلاميين في وسائل الإعلام خروجًا مكثفًا ، لدحض الإشاعات وتفنيدها، وإبطال كل ما قام به الإعلام الصهيوني من حرب نفسية، وتوجيه حرب نفسية إعلامية مضادة، بالإضافة إلى تعزيز عوامل الصمود، ورفع المعنويات، والتأكيد على فشل الاحتلال وتخبطه، وأن المقاومة بخير ... وتكرر خروج رئيس الوزراء إسماعيل هنية، وخالد مشعل، والدكتور إسماعيل رضوان، وفوزي برهوم، وطاهر النونو، وإيهاب الغصين، والدكتور محمود الزهار، إضافة إلى إرسال العديد من البيانات المكتوبة إلى وسائل الإعلام.

ومن ذلك تكرر خروج أبي عبيدة الناطق باسم كتائب القسام، وهذا الخروج له خصوصية، وذلك أنه في كل خروج يصرح ببيانات جديدة، تتضمن تفاصيل حول العمليات العسكرية، وأماكنها وطبيعة السلاح المستخدم، وكان يتوعد العدو بتوسيع رقعة الصواريخ، هذا مع الظهور بمظهر الواثق المتزن ... وكل ذلك يعمل على رفع الروح المعنوية على الصعيد الفلسطيني، وزعزعتها على الصعيد الصهيوني.

خامسًا : استطاعت المقاومة أن تحشد ا لجماهير الفلسطينية من حولها ، وأكدت على أن الحرب ليست موجهة ضد حماس وحدها، بل هي ضد الشعب الفلسطيني وما تحمله حماس من خيار الثوابت الفلسطينية، فكان التفاف الجماهير والتحامهم بالمقاومة عاملًا أساسيًّا في تحقيق الصمود والثبات ودحر الاحتلال.

سادسًا: ركزت المقاومة في إعلامها على أن الاحتلال يهدف من خلال الحرب التي شنها على قطاع غزة إلى الضغط على الشعب لابتزازه ليتنازل عن ثوابته (القدس، وحق العودة، والأسرى، والدولة والسيادة)، وأكدت أن حجم التضحيات يوازي حجم القضية الفلسطينية وأهميتها، وأن القضية ليست محصورة في قطاع غزة، ولا في حركة حماس.

سابعًا: نجحت المقاومة في إضفاء الصبغة الإسلامية الإيمانية على خطابها، وربط الواقع بالعقيدة الإسلامية، ابتداء من تسمية الحرب بحرب الفرقان، ربطًا لها بغزوة الفرقان – غزوة بدر– ، وهذا خطاب مؤثر وفعلا في بيئة متدينة، يولد طمأنينة وسكي نة لا تتحقق إلا للمؤمنين، ويعمل على تحصين المجتمع من الإشاعة، ومن تسلل الرعب على قلوبهم.

ثامناً: خروج العديد من القيادات الدعوية والحركية لإلقاء الكلمات الإيمانية والخطب المنبرية ، والمشاركة في تشييع جثامين الشهداء رغم المخاطر المحدقة، مثلما حصل في جنازة ا لشهيدين ريان وصيام، وليلة استشهاد الدكتور نزار ريان وعائلته خرجت بمؤتمر صحفي، وصبيحة يوم تشييع الجنازة قمت بالخطابة في مسجد خالد بن الوليد، تعرضت فيها لفضل الشهداء، والحث على الثبات، مما كان لها الأثر الايجابي في رفع الروح المعنوية إزاء هذه الجريمة النكراء.

تاسعًا: قدمت الحكومة الفلسطينية الشرعية في قطاع غزة نموذجًا طيبًا للحكومة المقاوِمة التي التحمت بالمقاومة والشعب، حيث سهرت على راحة المواطنين، وعملت على التخفيف من معاناتهم إبان المعركة، وقامت بالعديد من الإجراءات التي عززت من صمود الشعب الفلسطيني وثباته ، فحافظت على الأمن والاستقرار خلال المعركة، ولم يسجل أي انتهاك للقانون أو سرقة أو جريمة أو عبث في الساحة الداخلية، وقامت بتقديم التسهيلات الحياتية والاجتماعية والصحية، فوفرت الماء والغذاء والمستلزمات الطبية، وتابعت الأسعار وعملت على ضبطها، منعًا للاحتكار، وساعدت أصحاب البيوت التي دمرت والأسر المحتاجة بتقديم مساعدات عاجلة لهم، حتى أنها استطاعت أن تصرف الرواتب للموظفين تحت أزيز الطائرات والصواريخ والمدافع، وقدمت الشهداء في سبيل ذلك.

عاشرًا: تضحية القيادات وتقديم الروح والنفس رخيصة في سبيل الله ، ولذلك نماذج متعددة من علماء كالأستاذ الدكتور نزار ريان، ووزراء كوزير الداخلية سعيد صيام، وقيادات أمنية كاللواء توفيق جبر، والعقيد إسماعيل الجعبري مسئول الأمن والحماية، وهذا أبطل الدعاية السوداء التي كان يروج لها الإعلام الصهيوني من أن القيادات مختبئة، والشعب هو الذي يدف ع ثمن القرارات التي تتخذها هذه القيادات، فثبت عكس ذلك، وهو أن هذه القيادات حاضرة في الصفوف الأولى في ميدان المقاومة.

حادي عشر: استطاعت المقاومة الاستفادة من أدوات إعلامية فلسطينية وعربية وطنية وقومية فضحت جرائم الاحتلال ، ولم تكتف بنقل المشهد، بل تبنت الحق الفلسطيني، وانطلقت من مهنية ومسئولية اجتماعية ووطنية وإنسانية، تصدت للمؤامرة الكبرى على قطاع غزة وعلى كل فلسطين ... فالإذاعات المحلية كان لها دور كبير في مصاحبة المواطن على مدار الساعة، والعشرات من الفضائيات كالأقصى والقدس والجزيرة والمنار والحوار والعالم ...وعشرات الأقلام والمحللين ...فالإعلام الحر المهني خلق حالة من التوازن في الحرب الإعلامية السلبية ضد المقاومة.

ثاني عشر: التنسيق الميداني والإعلامي بين الفصائل : وفي ذلك يذكر الباحث والكاتب د . أكرم حجازي في مقال له نشر خلال الحرب في 2009/1/5 ملامح الحرب النفسية التي شنتها المقاومة

الفلسطينية على الاحتلال الصهيوني ويقول : "واجهت المقاومة الفلسطينية عن غزة إسرائيل بوحدة التنسيق الميداني الذي شمل كافة الجماعات والفصائل وحتى الجانب الإعلامي تميز بوحدة الخطاب العسكري بصورة لا تتناقض أبداً فيما بين القوى المدافعة، الأمر الذي أوقع إسرائيل في حيرة من أمرها تجاه عمليتها البرية التي بدأتها خاصة وأن الاستعدادات العسكرية لدى القوى المدافعة متماثلة في الخطط والتنسيق بحيث يصعب تحقيق اختراق ميداني دون تكبد خسائر فادحة . فما أن بدأت العملية البرية حتى ووجهت القوات المهاجمة بمعارك ضارية، وكان تفجير بضعة عبوات في القوات المهاجمة كافياً لاعتراف إسرائيل بوقوع عشرات القتلى والجرحى في صفوف قواتها من بينهم ضابط كبير "[1].

ثالث عشر: استخدام وسائل الإعلام لرفع الروح المعنوية

ولم يقتصر التصدي للحرب النفسية الصهيونية على التنسيق بين فصائل المقاومة وإنما امتد ليشمل وسائل الإعلام الفلسطينية ففي مقابل تحريض وسائل إعلام إسرائيل تقوم وسائل الإعلام في القطاع بحملة مضادة تستهدف إظهار الواقع على الأرض وبث الروح المعنوية في المواطنين.

وانشغلت وسائل إعلام غزة بمختلف أنواعها، التلفزيوني والإلكتروني وا لإذاعي، ببث مقاطع لقيادات المقاومة تحث على استمرارها وتشدد على أن غزة لن تخضع للضغوط والحرب التي تمارس ضدها.

وفي تقرير نشره موقع الجزيرة نت الإلكتروني يقول مدير دائرة البرامج في فضائية الأقصى التي تبث من غزة سمير أبو محسن إن فضائيته ترد على التهويل الإسرائ يلي بصور الضحايا على حقيقتها وإن المستهدفين في غالبيتهم مدنيون وليسوا عسكريين.

وأضاف أبو محسن "نبث أخبار المقاومة وتأثير عملياتها في قلب العدو الصهيوني.. نحن نواجه آلة حربية توازيها آلة إعلامية غادرة تحاول تشويه الحقائق وإظهار الضحية على أنه جان".

---

[1]– مدونة أكرم حجازي، مقال بعنوان المقاومة توقع إسرائيل في فخ الحرب النفسية،
http://drakramhijazi.maktoobblog.com/1557622/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A9-%D8%AA%D9%88%D9%82%D8%B9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D9%81%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81/

وبين أبو محسن أنهم يهدفون للتأثير في المجتمع الإسرائيلي من خلال ما يبثونه وكذلك على الرأي العام الدولي لإظهار الحقائق التي قد تكون غائبة عن الأعين في بعض الأوقات، مشددا على "أهمية الصورة الحقيقية في المعركة الإعلامية مع العدو الصهيوني".

وفي ذات التقرير الذي نشره م وقع الجزيرة نت، أكد الصحفي محمد المدهون المذيع بإذاعة صوت الشعب المحلية أن الإذاعات المحلية يتجاوز دورها النقل الإخباري المعتاد إلى أدوار أخرى كالتعبئة والحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية في مواجهة الحرب الدعائية الإسرائيلية التي تأتي بموازاة أي تصعيد ميداني.

وأوضح المدهون أنهم "في الإذاعات المحلية يعملون على دحض الإشاعات الصهيونية وشحذ النفسيات باتجاه دعم المقاومة والالتفاف حولها "، مشيرا في الوقت نفسه إلى محاولات بعض فنيي غزة التشويش على موجات البث الإسرائيلية واختراقها لبث رسائل باللغة العبرية موجهة للجمهور الإسرائيلي[1].

رابع عشر: استفادت المقاومة الفلسطينية من الزخم الجماهيري العربي والعالمي الداعم والمتضامن مع الشعب الفلسطيني، حيث انطلقت العديد من المظاهرات في العواصم العربية والعالمية المنددة بالعدوان والمتضامنة مع قطاع غزة، وانبرى العلماء لتوضيح واجب الأ مة في نصرة أهل غزة، وعُقِدت العديد من المؤتمرات العربية والإسلامية، وصدرت بيانات عن منظمات حقوق الإنسان المنددة بالجرائم الصهيونية ... مما كان له الأثر الإيجابي في رفع الروح المعنوية لدى الشعب الفلسطيني والمقاومة.

خامس عشر: قيام المقاومة بإطلاق الصواريخ خلال إلقاء رئيس وزراء العدو خطابه حول الحرب على غزة، وهذا يحمل في طياته دلالات كبيرة في الحرب المعنوية، ومعاني النصر والهزيمة، وكذلك إلقاء رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية خطاب النصر، والذي أعقبه الكثير من المؤتمرات والتصريحات للقسام وفصائل المقاومة الأخ رى، يضاف إلى ذلك خروج مئات الآلاف من الشعب الفسطيني في مسيرات تحمل عنوان النصر على العدو، مما يدلل دلالة واضحة على أن الحرب لم تفت في عضد الشعب الفلسطيني، ولم تضعف من صموده وثباته.

---

[1]- موقع قناة الجزيرة الفضائية، تقرير بعنوان إعلام غزة يتصدى لدعايات إسرائيل،
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/6747022B-4E42-4D84-AD1E-3D59D2C21F4F.htm

وهذه بعض المقابلات الصحفية التي أجريت مع بعض المقاومين، والصحفيين حول الحرب على غزة:

يقول الصحفي مصطفى الصواف فيما يتعلق بدور وسائل الإعلام الفلسطينية والصحفيين الفلسطينيين في التصدي للحرب النفسية الصهيونية: "إن الصحفيين الفلسطينيين كانوا على قدر من المسئولية واستطاعوا عبر وسائل الإعلام أن يواجهوا الحرب الإعلامية الإسرائيلية بجدارة واستطاعوا بمهنية أن يضعوا حدًّا للحرب النفسية والإعلامية المستخدمة من قبل الاحتلال كل من جانبه دون أن يكون هناك إستراتيجية للمواجهة متفق عليها بين الكل الصحفي ولكن لوجود الحس الوطني ولوجود المسؤولية العالية كانت النجاحات كبيرة"[1].

ويضيف الصحفي مصطفى الصواف: "كان هناك حرب مضادة بمعنى أنه كان هناك فطنة لدى الصحفيين لمواجهة الدعاية الإسرائيلية ومارسوا نوعًا من التوعية للمواطنين من خلال نشر المعلومة الصحيحة والوصول إلى أماكن الحدث ودحض الدعاية الصهيونية سواء بالصورة أو بالشاهد فكان المواطن الفلسطيني بين يديه المعلومات كاملة وكأنه في مكان المعركة وبالتالي هذا دحض للدعاية الصهيونية"[2].

وحول دور الدعاية الصهيونية يقول الصواف: "إن الإذاعات المحلية في وقت العدوان الصهيوني كانت مختلفة بشكل كامل عما كانت به قبل العدوان حيث نسيت مناكفاتها ونسيت الانقسام ولعب ت دورا وطنيا واستطاعت أن لا تبالغ في نقل الحدث إلى حد ما فتوافق ما أذيع عبر الإذاعات فلم يُحدِث هذا أيَّ نوع من الإرباك لدى المواطن"[3].

ويوضح الصواف أن الإعلام العسكري الفلسطيني لعب دورا مهما ولكن كانت غالب عملياته الإعلامية لوصف الميدان ووصف ما يجري وكان يمارس نوعًا من الحرب النفسية على العدو الصهيوني ويعطي المعلومات الصحيحة للمواطن ما أدى لزرع الطمأنينة في صدور المواطنين"[4].

ويشير إلى أن الإعلام العسكري الفلسطيني كان بإمكانياته المتواضعة أفضل من إعلام الاحتلال حتى أن قادة الاحتلال أمروا عناصرهم بعدم مشا هدة أي وسيلة إعلامية فلسطينية أو الاستماع لها

---

[1]- مصطفى حسني الصواف خبير صحفي، مقابلة، قطاع غزة، 5-5-2011.

[2]- المرجع السابق نفسه.

[3]- المرجع السابق نفسه.

[4]- المرجع السابق نفسه.

والإعلام العسكري الفلسطيني استخدم الموجات الموجهة إلى جنود الاحتلال من خلال اختراق موجات اللاسلكي التي يتواصلون عبرها مع قياداتهم[1].

وفيما بتعلق بالمقاومين كيف أنهم تغلبوا على الحرب النفسية يقول (ن. م) أحد رجال المقاومة الذين شاركوا في حرب غزة: "لم يتوقع المقاومون الحرب في هذا الوقت بالتحديد وفي اليوم الأول انتشرت الإشاعات بواسطة عملاء الاحتلال وغير العملاء حول نية الاحتلال تدمير غزة وأن المقاومة لا قبل لها بآليات الاحتلال وبالفعل نجحت الإشاعات في خفض معنويات بعض المقاومين ولكن بعد توجيهات القيادة والخطط الجديدة سرعان ما تبدد القلق وارتفعت معنويات المجاهدين وكل أخذ موقعه"[2].

لقد واجهت المقاومة الحرب النفسية الصهيونية بكثير من الصبر والثبات ولعل تواجد المقاومين في نقاط رباطهم طيلة أيام العدوان الصهيوني شجع الكثير منهم وثبتهم فكانوا بثباتهم يشجع بعضهم بعضًا[3].

وبعد أن تجاوز المقاومون مرحلة قصف الطيران وبدأت مرحلة الاجتياح البري لقطاع غزة انقطعت معظم الاتصالات فقد شوش الاحتلال على أجهزة اللاسلكي وتعطلت شبكة الاتصالات المحلية (جوال) وبدأ الاحتلال يستغل هذه النقطة في الحرب الإعلامية من خلال الدخول على موجتَيّ فضائية الأقصى وإذاعة الأقصى ويروج أن المقاومين فقدوا الاتصال بقياداتهم في محاولة منه لزعزعة صفوف المقاومين ولكن المجاهدين كانوا على ثقة أن قيادتهم موجودة وبالفعل حرصت قيادات المقاومة على التواصل مع المجاهدين[4].

وفي ذات الموضوع تحدث (أ. ر) أحد رجال المقاومة الذين شاركوا في المعارك مع الاحتلال وقال: "إن استشهاد القائدين سعيد صيام ونزار ريان أكد للمقاومين أنهم موجودون في الميدان، وإن اختراق موجة فضائية الأقصى والترويج أن المقاومة انتهت وأن الاحتلال سيسيطر على قطا ع غزة كانت تؤثر على المقاومين ولكن وجود الشباب متآزرين مع بعضهم هو ما ثبتهم"[5].

---

[1]– المرجع السابق نفسه.

[2]– (ن.م) أحد رجال المقاومة الفلسطينية، قطاع غزة، مقابلة، 3-5-2011.

[3]– المرجع السابق نفسه.

[4]– المرجع السابق نفسه.

[5]– (أ . ر) أحد رجال المقاومة الفلسطينية، قطاع غزة، مقابلة، 29-4-2011.

"وفي أحد المواقف كانت الأصوات المرتفعة والقنابل المضيئة والأصوات المرعبة للقذائف فقال أحد المجاهدين لن نستطيع أن نصمد فرد عليه زميله إن الأمة الإسلامية كلها تنتظر انتصار غزة فلو انسحبنا سننجو بأرواحنا ولكن سنخذل الأمة فهذا كان له وقع كبير على بقية المجاهدين وزاد من عزيمتهم"[1].

ولعل روح الفكاهة لم تفارق المقاومين الفلسطينيين رغم أجواء الحرب فكان لها أثر كبير في التغلب على الخوف وحرب الاحتلال النفسية[2].

ولقد كانت الروح الإيمانية عالية جدًا لدى المجاهدين فكانوا صيامًا في النهار وكثير من الشباب استشهدوا وهم صيام وفي الليل في فترة الراحة كانت صلاة القيام وهذا الجو الإيماني والروحاني كان رائعًا وكان له الدور الأبرز في تثبيت المقاومين لدرجة أنهم من بين الدمار والقصف أصبحوا يتحدثون ع ن تحرير الأقصى وأن أملهم هو تحرير فلسطين وليس الانتصار في معركة غزة وحسب[3].

المبحث الثالث: دور التربية الإسلامية في مواجهة الحرب النفسية في معركة الفرقان

إن الإسلام دين شامل يُنَظِّم جميع نواحي الحياة، فما مِن قول ولا عمل يصدر عن الإنسان إلا وله حكم، أو داخل تحت أصل من أصول الإسلام، ومن هذا الباب اعتنى الإسلام بمواجهة الحرب النفسية التي يمكن أن تُشَنّ على المسلمين، فكانت التربية الإسلامية التي ينشأ عليها المسلم سدًّا عظيمًا، وحصنًا منيعًا، في مواجهة الحرب النفسية في معركة الفرقان، وقد سَنّ الإسلام عدة وسائل تربوية بهذا الخصوص، منها ما يلي:

1- تعزيز الثقة بالله ووعده، وعدم اليأس والقنوط مهما اشتدت الظروف.

إن الثقة بالله عز وجل تُوَلِّد لدى الإنسان الشعور بالأمان، فهو يوقن بأن له ربًّا عظيمًا كبيرًا قديرًا يحفظه، ويؤيده، وينصره، فلا تؤثر فيه أعتى أساليب الحرب النفسية، قال الله تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]**{الأنفال :64} "أي: اللهُ وحده كافيك، وكافي أتباعِك، فلا تحتاجون معه إلى أحد"[4]، وإذا كان الله سبحان يكفي عباده كل شر وكل سوء كان حقًّا عليهم ألا يتوكلوا إلا عليه، ولذلك أمر الله المؤمنين بالتوكل عليه فقال : **[وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ]**{آل

---

[1]- المرجع السابق نفسه.

[2]- المرجع السابق نفسه.

[3]- (أ . ر) أحد رجال المقاومة الفلسطينية، قطاع غزة، مقابلة، 29-4-2011.

[4]- زاد المعاد في هدي خير العباد (1 / 35).

عمران :122} ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا في الثقة بالله والتوكل عليه، فإن المشركين لمّا حاولوا إخافته، ومَن معه مِن المؤمنين لمّا نزل بحمراء الأسد كان رده كما قال الله : **[الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ا لله وَنِعْمَ الوَكِيلُ]** {آل عمران:173}.

57- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: [حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا : [إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ][1].

إن هذا التخويف والإرهاب لم يؤت ثمره المرجو مع المؤمنين الواثقين في ربهم، المتوكلين عليه، بل كانت نتيجته عكس ما كان يرجوا الكفار، فإنه زادهم إيمانًا وثقةً في الله، قال القرطبي : "{فَزَادَهُمْ إِيمَاناً} أي فزادهم قول الناس إيمانًا، أي تصديقًا ويقينًا في دينهم، وإقامةً على نصرتهم، وقوةً وجراءةً واستعدادًا"[2].

ولقد كان للثقة بالله وحسن التوكل عليه الأثر البالغ في ثبات وصمود المقاومة في معركة الفرقان، في وقت تخلى فيه القريب والبعيد عن المقاومة، بل ربما ساهم بعض بني جلدتنا في هذه المؤامرة بطريقة أو بأخرى.

ثم إن المؤمن يعلم أن النصر من عند الله **[يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ]** {الرُّوم:5} والله تكفل بنصر المؤمنين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ]** {غافر:51}، ونصرهم يكون بإعلاء حججهم، والانتقام من أعدائهم [3]، وجعل ذلك حقًا عليه، قال سبحانه: **[وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ]**{الرُّوم:47}، ووعد المؤمنين بالتمكين في الأرض فقال جل وعلا: **[وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: إن الناس قد جمعوا لكم، ح4563.
إسناده: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ -أُرَاهُ قَالَ: حَدَّثَنَا- أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.
تخريجه: أخرجه البخاري مختصرا، في الموضع نفسه برقم: 4564.

[2]- تفسير القرطبي (4 / 280).

[3]- انظر: تفسير القرطبي (15 / 322)، وتفسير العز بن عبد السلام (1 / 1031)، وقد يرد ههنا إشكال، إذ من المعلوم أن من الأنبياء من قُتِل، ومن أولياء الله المؤمنين، وهزموا في بعض المعارك التي وقعت بينهم وبين أعداء الله، وقد أجاب الطبري على ذلك بما يشفي . انظر: تفسير الطبري (21 / 400-401)، وتفسير ابن كثير (12 / 937).

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] {النور :55} ، فالمؤمن يثق بوعد الله، ويوقن أن العاقبة لهم، وأن الدائرة على الكافرين، فتطمئن نفسه، ولا تضطرب من جراء الحرب النفسية، وقد كان المقاوم في معركة الفرقان يقاتل بالإمكانات المتواضعة أمام أكبر ترسانة عسكرية في المنطقة، وهو يدرك بأن النصر للمقاومة؛ لأجل ذلك رأينا النماذج الجهادية التي تذكرنا بالصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وقد ذكر الله أمثلة كثيرة في كتابه، بَيَّن فيها كيف نَصَرَ أولياءَه، وجعل العاقبة لهم، وكيف أهلك أعداءه، وقصصُ الأنبياء أوضح مثال على ذلك، ويذكر الله لنا كيف نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إذ كان ثاني اثنين **[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا]** {التوبة:40}، أي إلا تنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفير معه –وذلك حين استنفرهم إلى تبوك– ، فقد نصره الله حين أخرجه الذين كفروا، وكان ثاني اثنين، ولم يكن معه من يحامي عنه، ويمنع عنه إلا الله تعالى، فنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بهم فلا يضره انقطاعهم وقعودهم، وإنما هو من قبل الله تعالى [1]، وأما قوله "**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**" فيوضحه الحديث.

58– عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ : لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: "مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!"[2].

إنه جواب الواثق بالله تمام الثقة، المتوكل عليه تمام التوكل، الموقن بنصره وتأييد "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" يعني: نحن اثنان، الله ثالثنا، فهو معنا مَعِيَّةَ نصر وتأييد وحفظ[3].

وفي موقف آخر، كان النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا تحت شجرة، بواد نزل به وأصحابه الكرام، فتفرقوا عنه في ذلك الوادي، فجاء أعرابي وسل سيفه يريد أن يقتله.

59– عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ [4] فِي وَادٍ كَثِيرِ

---

[1]– تفسير الماوردي – النكت والعيون – (2 / 363).

[2]– صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين منهم أبو بكر، ح 3653.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، ح 2381.

[3]– فتح الباري لابن حجر (7 / 11).

[4]– القائلة: وقت القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. النهاية في غريب الحديث (4 / 133).

الْعِضَاهِ[1]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ [2] وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ال لَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا[3]، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ" –ثَلَاثًا–، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَجَلَسَ[4].

وفي لفظ مسلم : فَقَالَ –أي الرجل– لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَخَافُنِي قَالَ لَا قَالَ فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ.

إنه جواب الواثق بالله، جوابٌ يُظهر شجاعة النبي صلى الله عليه وس لم، وثبات نفسه، ويقينه أن الله ينصره ويظهره على الدين كله[5]. فما كان من الأعرابي لما شاهد هذا الثبات العظيم، وهذه الثقة التامة بالله عز وجل، إلا أن ألقى السلاح، وأمكن من نفسه، إذ علم مما رأى أنه لا يصل إليه، وعرف أنه حيل بينه وبينه[6].

وفي صلح الحديبية، جاء عمر رضي الله عنه مُتَغيّظًا من الشروط المُجْحِفة بحقّ المسلمين، ولم يصبر على ما يشعر بأنه ظلم، وإهانة، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد القتال وألا يتم هذا الصلح.

60–عن أَبي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ : "بَلَى"، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ : "بَلَى"، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ [7] فِي دِينِنَا؟ أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ،

---

[1]– العِضاه: جمع عَضة، شجر أم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك. النهاية في غريب الحديث (3 / 255).

[2]– السَّمُرة: ضرب من شجر الطَلح. النهاية في غريب الحديث 399/2.

[3]– صَلْتًا، أي: مُجرّدًا. النهاية في غريب الحديث (3 / 45).

[4]– صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر، ح 2910.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ : حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ .

تخريجه: أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، صلاة الخوف، ح 843.

[5]– شرح صحيح البخاري لابن بطال (5 / 101).

[6]– فتح الباري لابن حجر (7 / 427).

[7]– الدَّنِيّة، أي: الخصلة المذمومة. النهاية في غريب الحديث (2 / 137).

فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"[1].

لقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عمر بم ا يظهر عظيم الثقة بالله، والتسليم له، فقال : "إني رسول الله ولن يضيعني أبدًا"، وكذلك كان جواب أبي بكر لعمر رضي الله عنه، فكان هذا الموقف بليغًا في النفوس، وأسلوبًا تربى الصحابة به عمليًّا على الثقة بالله، حتى قال سهل بن حُنيف رضي الله عنه أيها الناس اتهموا أنفسكم.

إن الثقة بالله تحمل المؤمن على ألا يقنط من رحمة الله، ولا يقطع الرجاء والأمل من ربه، فالقلب الواثق بالله، المتوكل عليه، "لا ييأس ولا يقنط، مهما أحاطت به الشدائد، ومهما ادلهمّت حوله الخطوب، ومهما غام الجوّ وتلبّد، وغاب وجه الأمل "[2]، ولأجل ذلك لم تؤ ثر المجازر الصهيونية التي حدثت في المعركة، ولا الحرب النفسية على نفسيات المقاومين، ولم يرهبهم الوعيد ولا التهديد.

ولقد حذر الله سبحانه من اليأس من رحمته، والقنوط من روحه فقال جل وعلا : **[وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ]** {الحجر :56}، وقال تبارك وتعالى : **[إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ]** {يوسف :87}، وقد استنبط العلماء من هذه الآية أن القنوط من رحمة الله كبيرة من الكبائر، كالأمن من مكر الله[3].

2-التربية على الاعتزاز بالإيمان وعدم الاستكانة.

لقد بين الله سبحانه في كتابه أن العزة -كلَّ العزة- له وحده تبارك وتعالى، فقال جل في علاه : **[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلهِ الْعِزَّةُ]** {فاطر :10}، فمن كان يريد العزة، فلا عزة إلا لله، ولا عزة إلا بالله، بالإيمان به، والتوكل عليه، وتسليم الأمر له، "فإن كل عزة بالله فهي كلها لله "[4]، ولذلك قال الله تعالى : **[وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ]** {المنافقون :8}، "ويضم الله سبحانه رسولَه والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يُكرّمه إلا الله، وأي تكريم بعد أن يوقف الله

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر، ح3182.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ.

تخريجه: أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح1785.

[2]- في ظلال القرآن (4 / 2148).

[3]- انظر: تفسير البغوي (4 / 385)، وتفسير السمعاني (3 / 144)، وتفسير القرطبي (9 / 252).

[4]- تفسير القرطبي (8 / 359).

سبحانه رسوله والمؤمنين معه إلى جواره ويقول : ها نحن أولاء ! هذا لواء الأعزاء، وهذا هو الصف العزيز، وصدق الله. فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدة من عزته تعالى، العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تنحني ولا تلين، ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان. فإذا استقر الإيمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة"[1].

إن الاعتزاز بالإيمان، يرفع من معنويات المؤمن ويدفعه إلى عدم الاستكانة والخضوع والذل مهما كانت الحال، ومهما اشتدت الظروف، ومهما بلغت شدة تأثير الحرب النفسية.

وقد أمر الله المؤمنين بألا يضع فوا، ولا يحزنوا، فهم الأعزاء الأعلون على كل حال، فقال تبارك وتعالى: **[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]** {آل عمران :139} قال الطبري في تفسير هذه الآية: "ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد – من القتل والقروح– عن جهاد عدوكم وحربهم، ولا تحزنوا ولا تأسوْا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ، فإنكم أنتم الأعلون، يعني: الظاهرُون عليهم، ولكم العُقبَى في الظفر والنُّصرة عليهم، إن كنتم مؤمنين "[2]، فإذا أمر الله المؤمنين بألا يهنوا ويضعفوا وقد وقعت بهم الهزيمة المحققة، فكيف يهون المؤمن ويضعف من جراء حرب نفسية ولما تقع الهزيمة وتتحقق؟!

ولقد بين الله لنا في القرآن من أحوال الأمم السابقة، ما نقتبس منه العظة والعبرة في عدم الاستكانةِ، والضعفِ، والخضوعِ، أمام الأعداء في أشد الأحوال، فقال تعالى : **[وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَا تَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ]** {آل عمران :146} ، ومعنى الآية : وكم من نبي قاتل معه رِبِّيُّون كثير، أي : الجموع الكثيرة، وهم الألوف الكثيرة، فما وهنوا وما ضعفوا عن العدو أو في الدين، وما خضعوا، لما أصابهم من قتل بعضهم، ومن جراح في سبيل الله، بل صبروا وثبتوا، والله يحب الصابرين، وفي هذه الآية قراءة أخرى: **[وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ]**، وهذه القراءة تحتمل معنيين، الأو ل: أن القتل مما أصاب بعض الربِّيِّين، فما وهن من بقي منهم، والثاني : أن النبي هو الذي قُتِل، و "هذا أصح القولين ... أي: كم من نبي معه ربيون كثير، قُتِل ولم يُقتلوا معه ... وهذا المعنى هو الذي يناسب سبب النزول، وهو ما أصابهم يوم أحد لما قيل : "إن محمدًا قد قُتل"[3]، وقد قال قبل ذلك : **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَ نْ يَنْقَلِبْ عَلَى**

---

[1]– في ظلال القرآن (3580/6).

[2]– تفسير الطبري (7 / 234).

[3]– تقدم تخريجه برقم (7).

عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ] {آل عمران:144} ..."[1]، قال الطبري : "لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) الذين انهزموا يوم أحُد، وتركوا القتال، أو سمعوا الصائح يصيح : "إن محمدًا قد قتل ". فعذبهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال، فقال : أفائن مات محمد أو قتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟ ! ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتبلع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قُتِل نبيُّهم –من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم– ولم تهنوا ولم تضعفوا، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قُتل نبيهم، ولكنهم صَبَروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم"[2].

ولقد حاول أبو سفيان أن يشن حربًا نفسية بعد انتصاره ومن معه على المسلمين في أحد.

*–عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – في حديثه عن غزوة أحد– قَالَ: ... فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً : سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ... ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ[3]: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ : "قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ". قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى، وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ"[4].

لقد قال أبو سفيان يفتخر بآلهته : أعل هبل، يظن أن العزة لهم بآلهتهم التي يعبدونها من دون الله فيقول: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالرد على هذه الحرب النفسية بأن يجيبوه: الله أعلى وأجلّ، الله مولانا ولا مولى لكم، يعني الله ناصرنا، ولا ناصر لكم، فلا عزة إلا بالله، وبالإيمان به، وما النصر إلا من عند الله.

ويومَ الأحزاب، يومَ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وزُلزل المؤمنون زلزالًا شديدًا، لم تهن العزائم، ولم تضعف، وبقي المؤمنون على عزتهم بالله، بإيمانهم به، وتوكلهم عليه.

---

[1]– مجموع الفتاوى (14 / 373–374).

[2]– تفسير الطبري (7 / 264–265)، و وانظر: تفسير القرطبي (4 / 230)، وتفسير ابن كثير (3 / 204–205).

[3]– الرَّجَز: بحر من بحور الشعر، ونوع من أنواعه يكون كل م صراع منه مفردًا . النهاية في غريب الحديث (2 / 199).

[4]– تقدم برقم (42).

* عن ابن شهاب الزهري قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري – وهما قائدا غطفان– فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة [1] في ذلك، فلما أراد رسول الله صلى ا لله عليه وسلم أن يفعل؛ بعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فذكر لهما واستشارهما فيه، فقالا له : يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا، قال: "بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رَمَتْكُم عن قوس واحدة، وكالبوكم[2] من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما"، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى [3] أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأنت وذاك"، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا[4][5].

وما زال هذا المعنى الذي تربى عليه المسلمون قائمًا في نفوسهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

61- عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ... فَقَالَ عُمَرُ: ... إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ[6].

---

[1]- المُراوضة: المجاذبة، وهي ما يجري بين المتبايعين من الزيادة والنقصان . النهاية في غريب الحديث (1776/3)، والمعنى أنه لم يجر بينهم اتفاق، وإنما تجاذب الحديث، من زيادة ونقصان في ثمر المدينة مقابل أن يرجعوا .

[2]- المُكالَبة: المُشارَّة، وكذلك التَّكَالُب، يقال : هم يَتَكَالبُونَ على كذا أَي : يَتَواثَبُون عليه، وكالَبَ الرجلَ مُكالَبةً وكِلاباً : ضايَقَه كمُضايَقَة الكِلاب بَعْضِها بَعْضاً عند المُهارشة. لسان العرب لابن منظور (5 / 3912).

[3]- القِرَى: ما يُهَيّأ للضيف من طعام ونُزُل. مشارق الأنوار على صحاح الآثار 2/ 181.

[4]- الجهد: بالضمّ الوسع والطاقة، وبالفتح: المشقة. النهاية النهاية في غريب الحديث (1 / 320)، والمراد: أي ليجتهدوا وليبذلوا ما في وسعهم في تهديدنا، فلن نعطيهم شيئاً .

[5]- تقدم برقم (37).

[6]- المستدرك على الصحيحين (1 / 61).

فالمؤمن عزيز بالله، لا تضره الحرب النفسية، مهما اشتدت، ولا تَفُتُّ في عضده، بل يبقى عالي الروح المعنوية، ثابتًا حتى يحكم الله بين المؤمنين وأعدائهم.

وقد كان للإيمان بالله والثقة به دوره – في معركة الفرقان– في رفع الروح المعنوية لدى المجاهدين الذين لا يملكون إلا الإمكانات المتواضعة أمام الآلة الصهيونية الضخمة والمتطورة، ولكنهم كانوا يملكون الإيمان والعقيدة والإرادة، والصمود والثبات، وكانوا يتسابقون إلى الشهادة حتى أرهبوا عدوهم، وحققوا النصر عليه، وكان جيش الاحتلال لا يأمن الواحد منهم على نفسه قضاء حاجته خوفًا من كتائب القسام والمقاومة، واستخدموا الحفاظات لذلك، وللتعبير عن الحالة الن فسية التي مر بها الجيش الصهيوني في المعركة قال أحد ضباطه بعد انتهاء المعركة واندحار الاحتلال : (كنا نقاتل أشباحًا تظهر لنا ونطلق عليها النار، ثم تختفي ولا نرى قتلى).

3–الحث على التآخي والتآلف، ووحدة الصف المسلم.

الجماعة رحمة، والفرقة والتنازع عذاب، وإن أمة متفرقة لَهِيَ أهلٌ لكل ضعف وهوان، ومستنقع صالح لانتشار كل شائعة، فالتفرق يَفُتُّ في عضد الأمّة، ويشغل بعضها ببعض، فلا تقوى على مواجهة المؤامرات والمكائد والشائعات، ولذلك أمر الله أمة الإسلام بالوَحدة وعدم التفرق، فقال تعالى: **[وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]** {الأنفال:46}، ففي هذه الآية أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن التنازع والفرقة، لأنهما سبيل الفشل – وهو الضعف والجبن– ، وسبيل ذهاب الريح – وهي القوة و البأس–، ثم قال : واصبروا أي: "مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه، إن الله مع الصابرين"[1]، وهذه الأمور الثلاثة من عوامل النصر، ومواجهة الحرب النفسية.

إسناده: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي ثنا عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، ثنا سُفْيَانُ، ثنا أَيُّوبُ بْنُ عَائِذٍ الطَّائِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ.

تخريجه: أخرجه ابن المبارك (الزهد لابن المبارك ص 207) وابن أبي شيبة (مصنف ابن أبي شيبة 18 / 320) وأبو بكر الدينوري (المجالسة وجواهر العلم 2/ 273) من طريق الأعمش عن قيس بن مسلم به.

دراسة رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات، وأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ : هو الشيخ المسند الثقة، محدث سمرقند، أبو جعفر، محمد بن محمد ابن عبد الله بن حمزة بن جميل، البغدادي المشهور بالجمال . سير أعلام النبلاء (15/ 547).

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[1]– تفسير الطبري (13 / 576).

إن الوَحدة نعمة من الله يَمُنّ بها على المؤمنين، الذين اعتصموا بحبله ا لمتين، واتبعوا صراطه المستقيم، قال تعالى: **[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا]** {آل عمران:103}، لقد بين الله سبحانه في هذه الآية أن تأليف القلوب منَّة منه، وسبيلها هو الاعتصام والتمسك بحبله. واختُلف في المقصود بحبل الله على خمسة أقوال : الأول: كتاب الله، والثاني : دين الله، والثالث : عهد الله، والرابع : إخلاص التوحيد لله، والخامس: الجماعة[1]، والمعنى كله متقارب متداخل[2].

ولما كانت الوَحدة بهذه الأهمية، كان من أول ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين وصل المدينة مهاجرًا من مكة أن آخى بين المهاجرين والأنصار.

62- عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَل، قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبَلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِي[3].

قال ابن أبي نصر الحُميدي : "والمحالفة التي حالف النبي صلى الله عليه وسل م بين قريش والأنصار في دار أنس، هي المؤاخاة، والائتلاف على الإسلام، والثبات عليه"[4].

لقد حققت هذه المؤاخاة التكافل الاجتماعيّ بين المهاجرين القرشيين الذين تركوا ديارهم وأموالهم بمكة، وبين الأنصار من أهل المدينة، وذلك يقوي التآلف والمحبة والتماسك.

ويؤكد الله تبارك وتعالى هذه الأخوة التي تربط بين المؤمنين، ألا وهي أخوة الإسلام، فيقول الله تعالى: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]** {الحجرات:10} ، ثم يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة، ويأمر بها.

63- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا تَحَاسَدُوا ... وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ"[5].

---

[1]- انظر: تفسير الطبري (7 / 70-73)، وتفسير الماوردي (1 / 413).

[2]- تفسير القرطبي (4 / 159).

[3]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف، ح6083،

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، ح 2529) من طريق حفص بن غياث، عن عاصم الأحول.

[4]- تفسير غريب ما في الصحيحين (ص 109)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (1 / 424).

[5]- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، ح2564.

قال النووي : "ومعنى كونوا عباد الله إخوانًا، أي : تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة و معاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك، مع صفاء القلوب، والنصيحة بكل حال"[1].

ويضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا لتعاضد المسلمين وتماسكهم ووحدتهم بالبنيان.

64- عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"[2].

ويُشَبِّه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالجسد الواحد، الذي إذا اشتكى أحد أعضائه اشتكى الجسد كله لشكواه.

65- عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[3].

نقل ابن حجر عن ابن أبي جمرة مُلخِّصًا قوله: "الذي يظهر أن التراحم، والتوادد، والتعاطف، وإن كانت متقاربة في المعنى، لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعًضا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة، كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا، كما يعطف الثوب عليه ليقويه"[4].

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ – يَعْنِي: ابْنَ قَيْسٍ–، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ – مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ– ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تخريجه: أخرجه البخاري (كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر، ح 6064) من طريق همام بن منبه، عن أبي هريرة به.

[1]– شرح صحيح مسلم (16 / 116).

[2]– صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، ح 481.

إسناده: حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح 2585) من طريق ابن المبارك، وعبد الله بن إدريس، وأبي أسامة، ثلاثتهم عن أبي بردة بن عبد الله به.

[3]– صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح6011.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ، سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ.

تخريجه: أخرجه مسلم، (كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح2586) من طريق عبد الله بن نمير، عن زكريا بن أبي زائدة به.

[4]– فتح الباري لابن حجر (10 / 439).

والأحاديث في حقوق الأخوة، والحث على التعاون وتقوية أواصر الترابط الاجتماعي كثيرة، مما يدل على أهمية الوَحدة واللُّحمة بين أفراد الأمة، وعظيم اعتناء الإسلام بها، وهذا ما حدث أثناء الحصار والمعركة الإجرامية على غزة، حيث رأينا الوحدة الحقيقية في ميدان المقاوم ة، وبين الشعب الفلسطيني الذي كان يتقاسم لقمة الخبز، ويتكافلون اجتماعيًّا، ورأينا الأخوة الإسلامية التي تجسدت وسط الدمار والحرب، حينما كنا نرى ملايين المسلمين في كل أرجاء الوطن العربي والإسلامي والعالم، بل وغير المسلمين ممن يحترمون إنسانيتهم ويقومون بواجب ا لاخوة الإنسانية، كانوا يثورون ضد الصهاينة والأمريكان الذين يمدونهم بالدعم السياسي والعسكري.

ولتقوية هذه الوَحدة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم جماعة المؤمنين، وعدم مفارقتهم.

66- عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَ إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ[1] فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ"[2].

ومن عظيم عناية الإسلام بوَحدة الأمّة أن أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم بقتل من يريد أن يفرق أمر هذه الأمّة.

67-عَنْ عَرْفَجَةَ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ"[3].

---

[1]- بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، أي: وسطها. النهاية في غريب الحديث (1 / 98).

[2]- سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ح2165.

إسناده: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ إِسْمَعِيلَ - أَبُو الْمُغِيرَةِ-، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ.

تخريجه: أخرجه النسائي (السنن الكبرى 8/ 286)، عن محمد بن الوليد، عن النضر بن إسماعيل به.

وأخرجه الحاكم (المستدرك على الصحيحين 1/ 114)، والبيهقي (السنن الكبرى 7/ 91) من طريق عبد الله بن المبارك، عن محمد بن سوقة به.

دراسة رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات غير النضر بن إسماعيل أبي المغيرة، ليس بالقوي كما قال الذهبي (الكاشف 2/ 320)، وابن حجر: (تقريب التهذيب ص 1001)، لكن تابعه عبد الله بن المبارك كما سبق بيانه في التخريج.

الحكم على الحديث: إسناده حسن لغيره، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق جماعة المسلمين، ح1852.

إسناده: حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَرْفَجَةَ.

تخريجه: أخرجه مسلم أيضًا (في الموضع نفسه) من طريق زياد بن علاقة عن عرفجة به.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: يريد أن يشق عصاكم، قال النووي : "معناه: يُفرّق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة، وتنافر النفوس "[1]، فكأنما يُشبّه الأمّة وهي مجتمعة متوحدة بالعصا المتماسك ة، فهي إذا تفرقت تصير كالعصا المشقوقة، المتفرقة إلى قطع وأجزاء، والعصا إذا انشقت لم تعد ذات نفع.

4- التربية على الالتزام بأوامر القيادة (طاعة ولي الأمر).

إن طاعة القيادة عصمة من التفرق والتنازع، وحفاظ على ترابط المسلمين وتآلفهم ووحدتهم أمر الله سبحانه بطاعة أولى الأمر، فقال تعالى : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا]** {النساء:59}، وقد اختُلف في المقصود بأولي الأمر في هذه الآية [2]، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال : هم الأمراء والولاة؛ لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاع ةً، وللمسلمين مصلحةً"[3]، وقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قول الله تعالى (وأولي الأمر منكم): "أمراء السرايا "[4]، وقال سهل بن عبد الله التستري : أطيعوا السلطان في سبعة ... فذكر منها : الجهاد[5]، قال البيضاوي : "يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء، والقضاة، وأمراء السرية. أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيهًا على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق"[6].

وكيف تلتئم صفوف المسلمين، وتأتلف قلوبهم، وتجتمع كلمتهم، وهم يتقدمون بين يدي الأمير، وكل يأخذ برأي نفسه؟! ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة القائد -ولي الأمر-.

رجال الإسناد: عرفجة هو ابن شُريح الأشجعي.

[1]- شرح صحيح مسلم (12 / 242).

[2]- انظر: تفسير الطبري (8 / 496-502)، وتفسير الماوردي (1 / 499).

[3]- تفسير الطبري (8 / 502).

[4]- تفسير ابن أبي حاتم (3 / 988).قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص بن غياث، ووكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وهذا إسناد صحيح لولا تدليس الأعمش.

[5]- انظر: تفسير القرطبي (5 / 259).

[6]- تفسير البيضاوي (80/2).

68- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ[1]، وَأَثَرَةٍ[2] عَلَيْكَ"[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بطاعة الأمراء فيما يحبون وفيما يكرهون، و "فيما يشق وتكرهه النفوس، وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية ... وإن اختص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"[4]، بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم طاعة الأمراء من طاعته، التي هي طاعة لله سبحانه، قال ا بن تيمية : "فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم؛ فما له في الآخرة من خلاق"[5].

69- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ : يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ؛ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ"[6].

إن القائد أعلم بأمور الحرب، وخططها، وأدرى بأحوال الأعداء وأماكنهم عُدَّتهم وعتادهم، فلا يصح أن يتقدم أحد بين يديه، ولا أن يَفْتَات عليه، فلا قيادة إلا بطاعة، ولا قوام لجيش لا يطيع

---

[1]- المَكْرَه: هو ما يكرهه الإنسان، ويشق عليه. النهاية في غريب الحديث (4 / 168).

[2]- الأَثَرَة: من آثر يؤثر إيثارًا، إذا أعطى، أراد أنه يَستأثر عليكم، فيُفضّل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار : الانفراد بالشيء. النهاية في غريب الحديث (1 / 22).

[3]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، ح1836.

إسناده: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا، عَنْ يَعْقُوبَ، قَالَ سَعِيدٌ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[4]- شرح صحيح مسلم للنووي (12 / 224-225).

[5]- مجموع الفتاوى (35 / 16-17).

[6]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويُتقى به، ح 2957.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب الإمام جُنة، ح 1841.

أميره، ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الإمام – أي: الأمير– جُنّة، فهو "كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويَتَّقِيه الناس، ويخافون سطوته "[1]، ومعنى يُقاتَل من ورائه : "يتبع أمره ونهيه وتدبيره في القتال، ويمشي تابعًا إياه بحيث كأن الإمام هو قدامه"[2]، ونقل ابن قدامة قول الخرقي : "وإذا غزا الأمير بالناس لم يجز لأحد أن يَتَعلَّف ولا يَحْتَطِب ولا يُبَارِز عِلْجًا ولا يخرج من العسكر ولا يُحدث حَدَثًا إلا بإذنه "[3] ثم تعقبه شارحًا فقال : "يعني : لا يخرج من العسكر لِتَعَلُّفٍ، وهو تحصيل العَلَف للدواب، ولا لاحتِطَابٍ ولا غيره إلا بإذن الأمير، لقول الله تعالى: : **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**] {النور :62}، ولأنّ الأمير أعرف بحال الناس وحال العدو ومكامنهم ومواضعهم وقربهم وبعدهم، فإذا خرج خ ارج بغير إذنه لم يأمن أن يصادف كمينًا للعدو فيأخذوه، أو طَلِيعة لهم، أو يرحل الأمير بالمسلمين ويتركه فيهلك "[4]، فإذا كان الخروج طلبًا للعلف، أو الحطب لا يجوز بغير إذن الأمير، كان ما هو أكبر من ذلك لا يجوز من باب أولى.

وخلاصة ما تقدم أنه تجب طاعة الأمير أو القائد في غير معصية، لما يترتب على ذلك من وَحدة المسلمين، واجتماع كلمتهم، ولما يكون له من دراية بأمور الحرب، وأحوال العدو، مما لم يطلع عليه الجند.

وقد كانت للمقاومة في معركة الفرقان قيادة واحدة، تصدر تعليماتها السياسية والعسكرية والجميع يلتزم بها، وكان الس مع وكانت الطاعة، ووحدة الصف التي ساعدت في استبسال المقاومة وانتصارها.

5- التربية على الصبر والثبات في المعركة.

لقد أمر الله المؤمنين بالثبات في أرض المعركة، وحرم عليهم الفرار، فقال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]** {آل عمران:200}، ومعنى الآية: "اصبروا على الجهاد، وصابروا العدو، ورابطوا بملازمة الثغر"[5]، وفي الآية أقوال أخرى[6]، وقال تعالى: **[يَا**

---

[1]- شرح صحيح مسلم للنووي (12 / 230).

[2]- حاشية السندي على صحيح البخاري (2 / 248). متن البخاري بحاشية السندي 163/2

[3]- متن الخرقي (ص138).

[4]- المغني (10 / 386).

[5]- تفسير الماوردي (1 / 445).

[6]- انظر: تفسير الطبري (7 / 501-508)، وتفسير الماوردي (1 / 445).

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا] {الأنفال:45}، وقال سبحانه: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ]** {الأنفال:15-16}، وفي هذه الآية نَهى الله تبارك وتعالى المؤمنين عن الفرار إذا التقى الجيشان، وتوعد من يفر من أرض المعركة بأن يحل عليه غضب الله، ويكون مصيره إلى جهنم، إلا من كان متحرفًا لقتال، أي : من باب المكيدة، ليظن خصمه أنه خاف منه ثم يكر عليه فيقتله، أو متحيزًا إلى فئة، أي : إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه، حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة[1]، "وهذا الأمر مقيد بالشَّرِيطة المنصوصة في مِثْليّ المؤمنين [2]؛ فإذا لقيتْ فئةٌ م ن المؤمنين فئةً هي ضِعف المؤمنين من المشركين فالفَرْض ألّا يفروا أمامهم . فمن فرّ من اثنين فهو فارّ من الزحف . ومن فرّ من ثلاثة فليس بفارّ من الزحف، ولا يَتَوجّه عليه الوعيد"[3].

وقد اختلف العلماء هل الوعيد على الفرار من الزحف في هذه الآية خاص بيوم بدر أم عام في كل زحف إلى يوم القيامة [4]، فذهب بعض الأئمة إلى أن قوله **[وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ]** يعني يوم بدر، وقال الجمهور : إنما ذلك إشارة إلى يوم الزحف، ولو صح أن الآية نزلت في أهل بدر فإن هذا لا يعني ألّا تَعُمّ كل فرار من الزحف، فقد جاء الحديث في أن الفرار من الزحف موبقة من الموبقات.

70- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ [5]. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ... وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ... الحديث[6].

---

[1]- انظر: تفسير ابن كثير (7 / 35).

[2]- يريد قول الله تعالى : **[الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَ لِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ]** {الأنفال:66}

[3]- تفسير القرطبي (7 / 380).

[4]- انظر: تفسير ابن أبي حاتم (5 / 1670-1672)، وتفسير الطبري (13 / 436-440)، وتفسير القرطبي (7 / 381-382).

[5]- المُوبِقات: الذنوب المُهْلِكات. النهاية في غريب الحديث (5 / 145).

[6]- صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا" {النساء:10}، ح 2767.

قال ابن كثير –بعد ذكر الخلاف في الآية–: "وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير، والله أعلم"[1].

وفي هذا الحديث يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الموبقات –أي: المهلكات–، والتي منها الفرار من القتال عند لقاء العدو [2]، فالفرار كبيرة من الكبائر، "بظاهر القرآن، وإجماع الأكثر من الأئمة"[3]، وإذا كان إثم الفارّ من القتال بهذه الدرجة، وجرمه عظيمًا عند الله، فإن المؤمن يفضل الموت على أن يفر فيُعَرِّضَ نفسه لسخط الله وغضبه وعذابه، هذا في حال اشتدت فيها القتال، وحمي الوطيس، وعليه فإنه ومن باب أولى ألّا ترهبه الحرب النفسية بأساليبها، بل يبقى ثابتًا صامدً ا أمامها، وقد رأينا المجاهدين من كتائب عز الدين القسام والمقاومة حينما احتدمت المعركة وبدأ الاجتياح البري متجذرين في مواقعهم، تصدوا ببطولة خارقة للزحوف الصهيونية الجرارة، حتى كان الواحد منهم يمكث أسبوعًا أو أكثر لا يغادر مكانه مع قليل من حبات التمر، وزجاج ة ماء تساعده في مواصلة قتاله، فكانت المقاومة الشرسة التي أربكت حسابات الاحتلال وفاجأته.

ومن المعلوم أن الثبات في أرض المعركة يعني تَعريض النفس للموت، وإيرادها المهالك، ولما كان الأمر بهذه الخطورة؛ نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تمني لقاء العدو.

71– عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ –مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ–، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا؛ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، قَالَ : "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ "، ثُمَّ قَالَ : "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"[4].

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الْمَدَنِ يِّ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، ح89) من طريق عبد الله بن وهب، عن سليمان بن بلال به.

[1]– تفسير ابن كثير (7 / 39–40).

[2]– انظر: حاشية السندي على صحيح البخاري (4 / 86) متن البخاري بحاشية السندي 185/4، وحاشيته على سنن النسائي (5 / 257).

[3]– تفسير القرطبي (7 / 380).

[4]– صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال،ح 2966.

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن تمني لقاء العدو؛ لأن أحدًا لا يعلم إلى أيّ شيء ستؤول العاقبة، فقد يفر المرء من أرض المعركة، فيبوء بغضب الله، وقد يُبتلى المؤمنون بالكافرين فيُنصرون عليهم من باب الاستدراج[1]، قال ابن بطال : "وجملة معناه: النهي عن تمني المكروهات والتصدي للمحذورات، ولذلك سأل السلف العافية من الفتن والمحن؛ لأن الناس مختلفون في الصبر على البلاء"[2]، لكن إذا ما تحقق اللقاء، ووقع القتال، فالواجب عند ذلك الصبر والثبات.

ولقد أخبرنا الله سبحانه عَمَّن سبقنا من المؤمنين أنهم كانوا يسألونه الثبات وقت اللقاء، وذلك لنقتدي بهم في أن نسأله سبحانه الثبات، فإنه لا يثبت إلا من ثَبَّته الله، قال جل شأنه: **[وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]** {البقرة:250}، وقال تبارك وتعالى: **[وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَ نَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]** {آل عمران:147}.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم يسألون الله التثبيت كذلك.

72- عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَا لَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَى[3] قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا[4].

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَ ى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَرَأْتُهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، ح 1741) من طريق ابن جريج، عن موسى بن عقبة به.

[1]- قال ابن الجوزي: "اعلم أن تمني لقاء العدو يتضمن أمرين : أحدهما: استدعاء البلاء، والثاني : ادعاء الصبر، وما يدري الإنسان كيف يكون صبره على البلاء، والمدعي متوكل على قوته، معرض بدعواه عن ملا حظة الأقدار وتصرفها، ومن كان كذلك وُكِلَ إلى دعواه، كما تمنى الذين فاتتهم غزاة بدر فلم يثبتوا يوم أحد، وكما أعجبتهم كثرتهم يوم حنين فهزموا، وقد نبه هذا الحديث على أنه لا ينبغي لأحد أن يتمنى البلاء بحال " كشف المشكل من حديث الصحيحين (3 / 429).

[2]- شرح صحيح البخاري لابن بطال (10 / 292).

[3]- الأُلى، أي: الذين، ولا واحد له من لفظه. مشارق الأنوار (1 / 32).

[4]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ح2837.

إسناده: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذا الحديث فيه سؤال الله الثبات، وفيه مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم – وهو القائد– للصحابة – وهم الجند–، وهذا يشجع الجند، ويرفع روحهم المعنوية، ويزيد من قوة ثباتهم في أرض المعركة، وقد كان المجاهدون يكثرون من الدعاء في المعركة اقتفاءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الشعوب العربية والإسلامية تلهج إلى الله بالدعاء والقنوت في الصلوات بأن ينصر الله المقاومة.

6-التربية على الشجاعة والتضحية والفداء.

إن الشجاع رجل مقدام، لا يهاب المنايا، ولا ترهبه العساكر، فالشجاعة هي : "الإقدامِ، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيرهِ، ويَتَوَرَّد ما لا يَتَوَرّده سواهِ"[1]، ومثل هذا تتناهى أمامَه قوة الحرب النفسية مهما تنوعت أساليبها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالًا يُقتَدَى به في الشجاعة، بل كان أشجع الناس صلى الله عليه وسلم.

73– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ[2]، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا" ... الحديث[3].

استقبل النبي صلى الله عليه وسلم أهل المدينة راجعًا من حيث الصوت الذي أفزعهم، فكان أسبقهم إليه، وأسرعهم استطلاعًا للخبر، وذلك يدل على الشجاعة، وأيّ شجاعة هذه؟ ! إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا حمي الوطيس، واحمرّت الحِدَق، وتطايرت الرؤوس، هو الأقرب للعدو، به يلوذ الجند، وبه يحتمون.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ح1803) من طريق غندر، عن شعبة به.

[1]– المثل السائر (2 / 168).

[2]– فرس عُرْي، أي: لا سرج عليه، ولا غيره. النهاية في غريب الحديث (3 / 225).

[3]– صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ح2307.

إسناده: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ، وَأَبُو كَامِلٍ، – وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى– قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

تخريجه: أخرجه البخاري (كتاب الهبة وفضلها، باب من استعار من الناس الفرس، ح 2627) من طريق قتادة عن أنس به مختصرًا.

74- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا[1].

وفي لفظ آخر لأحمد : كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْ هِ وَسَلَّمَ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ[2].

إن الذي يحكي هذا الحديث ليس أيّ رجل، إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إنه أحد شجعان المسلمين، يُضرب به المثل في الشجاعة، فإذا كان مَن هو بهذه الحال وهذه الشجاعة يحتمي برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا ولا شك يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية في الشجاعة حتى يلوذ به الشجعان.

وعلى هذه الشجاعة تربى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وتربى المجاهدون في فلسطين، فكانوا بحق أهل الشجاعة والتضحية، وكانت القيادة تشارك في المعركة حيث ارتقى عدد من القادة السياسيين والعسكريين أمثال، الشهيد الأستاذ الدكتور نزار ريان، والشهيد الأستاذ سعيد صيام وزير الداخلية، والشهيد إسماعيل جبر وغيرهم.

75- عن أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: "مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟ " فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ؛ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا أَنَا . قَالَ: "فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟ " قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ -أَبُو دُجَانَةَ-: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ[3][4].

---

[1]- مسند أحمد (2 / 81).

إسناده: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريج الحديث: أخرجه ابن أبي شيبة بالإسناد نفسه (مصنف ابن أبي شيبة 17/ 395).

وأخرجه النسائي (السنن الكبرى 8/ 34)، وأبو يعلى (مسند أبي يعلى 1/ 258)، والحاكم (المستدرك على الصحيحين 2/ 143) من طريق زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق السبيعي به.

دراسة رجال الإسناد : جميع رجال الإسناد ثقات، وأما بالنسبة لاختلاط أبي إسحاق السبيعي فقد نص أبو حاتم بأن إسرائيل من أتقن أصحاب أبي إسحاق (الجرح والتعديل 331/2)، وقال ابن مهدي : "إسرائيل في أبي إسحاق أثبت من شعبة والثوري". (الكامل في ضعفاء الرجال 423/1).

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[2]- مسند أحمد (2 / 453).

[3]- فلق به هام المشركين، أي: شق رؤوسهم. شرح صحيح مسلم للنووي (16 / 24).

[4]- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي دجانة، ح 2470.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ .

تخريج الحديث: تفرد به مسلم دون البخاري.

لما عرض النبي صلى الله عليه وسلم سيفه على الصحابة، تقدموا إليه، كلهم يريد أن يأخذه؛ ليقاتل به، فما تَأَخّروا وما تراجعوا، إلا عندما شرط عليهم أن يكون الأخذ بحقه، فتراجعوا خشية أن يعجزوا عن القيام بحقه، لكن أبا دجانة رضي الله عنه كان رجلًا شجاعًا، فقال أنا آخذه بحقه، فأخذه قطع به رؤوس المشركين.

وهذا جليبيب رضي الله عنه يقاتل سبعة من المشركين فيقتلهم ثم يُقتل.

76- عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ[1]، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ [2]، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ" فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ، قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ! هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"، قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ، وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا[3].

وها هم عدد من الصحابة الشجعان يُقْدِم كل واحد منهم على القتال حتى الموت.

77- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ[4] قَالَ: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ "، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ"، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ: "مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا"[5][1].

---

[1]- كان في مَغْزًى له، أي: في سَفَر غَزْو. شرح صحيح مسلم للنووي (16 / 26).

[2]- أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أي: أعطاه غنائم الذين قاتلهم. فتح الباري لابن حجر (8 / 47).

[3]- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جليبيب، ح 2472.

إسناده: حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيطٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ كِنَانَةَ بْنِ نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[4]- رَهِقوه، أي: غَشوه وقَرُبوا منه. شرح صحيح مسلم للنووي (12 / 147).

[5]- "ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا ": يُروى على وجهين : بسكون الفاء ونصبِ "أصحابنا" على المفعولية، وفتح الفاء ورفع "أصحابنا" على الفاعلية. ووجه النصب : أن الأنصار لما خرجُوا للقتال واحدًا بعد واحد حتى قُتِلُوا، ولم يخرج القرشيان، قال ذلك، أي : ما أنصفت قريشٌ الأنصار . ووجه الرفع : أن يكون المراد بالأصحاب، الذين فرُّوا عن

لقد فَدَى هؤلاء الشجعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والواحد منهم يرى أن من يتقدم فإنه لا يرجع حتى يقتل، ثم يتقدم الثاني والثالث والرابع وهكذا، إنها الشجاعة التي تربى عليها الصحابة، والتضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى . وبنحو هذه رأينا أحد المجاهدين من كتائب عز الدين القسام يقتل العديد من جنود الصهاينة، ويأسر أحدهم، ثم تتعقبه طائرة استطلاع فتقتل الجندي الأسير والمجاهد معًا.

وإذا كانت الذلة وحقارة الحال تأتي من الجبن والهلع، فإن الشجاعة عزة، ورفعة، وثبات وسكينة، فليس الشجاع من ترهبه الحرب النفسية، أو تقعده عن القتال.

7-التأهب والاستعداد المستمر للقتال في كل وقت

إن المؤمنين مطالبون بالإعداد لأعدائهم قال الله تعالى: **[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ]** {الأنفال:60}، يأمر الله المؤمنين في هذه الآية بالإعداد لعدوهم، على قدر استطاعتهم، مما ي خوفون به عدو الله وعدوهم، وذلك يلزم منه دوام الإعداد والاستعداد، لأن الأعداء متى رأوا من المسلمين غفلة، هاجموهم دون أن تقع رهبتهم في قلوبهم، فدوام الإعداد والاستعداد للأعداء هو الذي يبقيهم خائفين.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من خير أحوال الناس معاشًا من كان مستعدًّا للقتال، متهيأً له على الدوام.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أُفْرِدَ في النفر القليل، فَقُتِلُوا واحدًا بعد واحد، فلم يُنْصِفُوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَنْ ثبت معه. زاد المعاد (3 / 204).

[1]- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ح1789.

إسناده: حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، وَثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ .

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

78- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ[1] فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ[2] كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً [3] أَوْ فَزْعَةً[4] طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ[5]" ... الحديث[6].

إن من يكون هذا حاله، لا ترهبه الحرب النفسية، وذلك أنه مستعد لقتال عدوّه، وهو فوق ذلك لا يخشى القتل في سبيل الله، فهو يبتغيه ويطلبه، فأنى لأساليب الحرب النفسية أن تؤثر فيه؟!

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تعلم الرمي، واللهو به، لما يعود به من الفائدة في الحرب وتمام الاستعداد للأعداء.

79- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[7]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ"، قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟" قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ"[8].

---

[1]- العِنان: سَيْر اللِّجام. النهاية في غريب الحديث (3 / 313).

[2]- يطير على متنه، أي: يُسارع على ظهره. شرح صحيح مسلم للنووي (13 / 35).

[3]- الهَيْعَة: الصوت الذي تَفْزَع منه وتَخافه من عدو . النهاية في غريب الحديث (5 / 287).

[4]- الفَزْعة: النهوض إلى العدو . شرح صحيح مسلم للنووي (13 / 35).

[5]- يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أي : يطلبه في مواطنه التي يُرجى فيها؛ لشدة رغبته في الشهادة. شرح صحيح مسلم للنووي (13 / 35).

[6]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، ح1889.

إسناده: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْجَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تخريجه: أخرجه مسلم أيضا (في الموضع نفسه) من طريق أسامة بن زيد عن بعجة بن عبد الله به، وأيضا عن قتيبة بن سعيد، عن ابن أبي حازم به.

[7]- يَنْتَضِلون، أي: يرتمون بالسهام. النهاية في غريب الحديث (5 / 71).

[8]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، ح2899.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ : سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه البخاري أيضًا (كتاب المناقب، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل، ح3507) من طريق يحيى القطان، عن يزيد بن أبي عبيد به.

لقد مَرّ النبي صلى الله عليه وسلم بنفر يتسابقون ويتنافسون بالرمي بالنَّبْل، فحثهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك قائلًا: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ثم لم ينته إلى هذا الحد، حتى ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مشاركتهم في ذلك، ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النوع من اللهو.

80- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ، فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ"[1].

يحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على أن يشغلوا أوقات فراغهم باللهو في رمي النبل، وإن كان الله سبحانه سَيَفتح عليهم الروم، ويَكفيهم شرهم بقوته وقهره، لكن الثواب والأجر مترتب على سعيهم وتعبهم، فعليهم ألا يعجزوا ولا يكسلوا عن الاشتغال واللعب بالرمي [2]، قال الطيبي : "كأنه قيل: إن الله سيفتح لكم عن قريب الروم –وهم رماة–، ويكفيكم الله تعالى بواسطة الرمي شرَّهم، فإذًا لا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه، أي : عليكم أن تهتموا بشأن النضال وتمرنوا فيه وعضوا عليه بالنَّواجِذْ"[3].

فهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على الاستعداد لملاقاة الأعداء، وذلك بالاشتغال بالرمي.

ولهذا الحديث معنى آخر، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أصحابه أن الله سَيَفتح عليهم الأرض، ويَكفيهم شر عدوهم، فإذا كان ذلك، فعليهم ألا يتركوا الرمي تكاسلًا عنه، لعدم حاجتهم إليه، فإن الرمي مما يحتاج إليه أبدًا[4]، وكأنه يأمر بالاستمرار في الرمي، وعدم تركه حتى لو أمن المسلمون، وما عادوا يخافون عدوًّا، فالواجب أن يبقوا مستعدين على الدوام، ولهذا شدد النبي صلى الله عليه وسلم في النكير على من تعلم الرمي ثم تركه حتى نسيه.

81- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَ ةَ، أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ، قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ؟ ! قَالَ عُقْبَةُ : لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، ح1918.

إسناده: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِى عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِى عَلِىٍّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[2]- انظر: مرقاة المفاتيح (6 / 2499).

[3]- انظر: مرقاة المفاتيح (6 / 2499).

[4]- انظر: مرقاة المفاتيح (6 / 2499).

وَسَلَّمَ لَمْ أُعَانِيهِ، قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لِابْنِ شَمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: "مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى"[1].

قوله (فليس منا) قال المناوي : "فليس من المتخلقين بأخلاقنا، والعاملين بسُنَّتنا، أو ليس متصلًا بنا، ولا داخلًا في زمرتنا"[2]، قال النووي: "هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد عِلْمه، وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر"[3].

وسيرًا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم فإن المجاهدين في قطاع غزة هم في حالة إعداد واستنفار دائمين، قبل المعركة وبعدها؛ لأن عدونا لا يعرف إلا لغة القوة، وقد صقلت التجارب أهل غزة وفلسطين من خلال الانتفاضة الأولى ثم انتفاضة الأقصى والمواجهات المتكررة مع الاحتلال، وكشفت جبن اليهود، وزيف الدعاية الإعلامية الصهيونية بأنه الجيش الذي لا يقهر، فقد قهر بالحجر من قبل، ثم بالسكين، ثم بالعَبوة وا لرصاصة، ثم بالصاروخ والقاذف، ولذلك كان نَفَسُه في هذه الحرب نَفَسَ المجرب والعارف والبصير بأن أمامه جيش جبان كان يتسلح بكافة الأسلحة المادية.

8-التربية على حب الجهاد.

إن المؤمن يحب أن يجاهد في سبيل الله لما يعلم من فضل الجهاد، وثوابه عند الله تعالى، فإن الجهاد من أفضل الأعمال، وأعظمها، وأحبها إلى الله.

قال الله تعالى: **[لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا]** {النساء:95}

82- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْ هِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، قَالَ : "لَا أَجِدُهُ" قَالَ : "هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ، فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟!" قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ[4].

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، ح1919.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[2]- فيض القدير (6 / 235-236).

[3]- شرح صحيح مسلم (13 / 65).

[4]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد، ح2785.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يجد عملًا يعدل الجهاد في سبيل الله غير اتصال صيام النهار بقيام الليل، لا ينقطع عن ذلك حتى يرجع المجاهد، قال القاضي عياض : "وتمثيله المجاهد بالصائم القائم القانت بآيات الله الذي لا يفتر من صلاة ولا قيام حتى يرجع، تعظيم لأمر الجه اد جدًّا؛ لأن الجهاد والصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، فقد عَدَلها المجاهدُ، وصارت جميع حالاته من فعله في تصرفاته من أكله ونومه وبيعه وشرائه لما يحتاجه، وأجره في ذلك كأجر المثابر على الصوم والصلاة وتلاوة كتاب الله الذي لا يفتر، وقليل ما يقدر عليه"[1].

ولقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الروحة في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها.

83-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "... وَالرَّوْحَةُ[2] يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ[3]، خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"[4].

فإذا كانت الروحة في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها، فكيف بمن أمضى في الجهاد أشهرًا أو سنينًا من عمره، قال ابن دقيق العيد : "في قوله عليه السلام : (خير من الدنيا وما عليها) وجهان: أحدهما: أن يكون من باب تنزيل المُغَيَّب منزلة المحسوس تحقيقًا له، وتثبيتًا في النفوس، فإنّ ملك الدنيا ونعيمها ولذاتها محسوسة مستعظمة في طباع النفوس ... والثاني: أنه قد استبعد بعضهم أن يوازَن شيء من نعيم الآخرة بالدنيا كلها ، فحمل الحديث أو ما في معناه على أن هذا الذي رتب عليه الثواب خير من الدنيا كلها لو أُنْفِقَتْ في طاعة الله تعالى ... والأول عندي أوجه وأظهر"[5].

ولقد عَدّ النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد في سبيل الله أفضل الناس.

إسناده: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو حَصِينٍ، أَنَّ ذَكْوَانَ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد، ح1878) من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه به.

[1]- إكمال المعلم (6 / 297).

[2]- الرَّوحة: السير في الوقت الذي من الزوال إلى الليل. إحكام الأحكام (ص490).

[3]- الغَدوة: بفتح الغين السير في الوقت الذي من أول النهار إلى الزوال. إحكام الأحكام (ص490).

[4]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ح 2892.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَا رٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، ح 1881) من طريق عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه به.

[5]- إحكام الأحكام (ص490).

84-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ" ... الحديث[1].

ولقد اختلف العلماء في أفضل الأعمال بعد الفرائض، فمنهم من ذهب إلى أنه ذكر الله، ومنهم من ذهب إلى أنه طلب العلم، ومنهم من ذهب إلى أنه الصلاة، ولهذه الأحاديث وغيرها ذهب جمع من العلماء إلى أن الجهاد في سبيل الله هو أفضل الأعمال بعد الفرائض، قال الإمام أحمد: "لا أعلم شيئًا بعد الفرائض أفضل من الجهاد"[2]، وقد ذهب ابن دقيق العيد إلى أنه أفضل الأعمال التي هي وسائل لغيرها فقال: "وأما الجهاد في سبيل الله تعالى فمرتبته في الدين عظيمة، والقياس يقتضي أنه أفضل من سائر الأعمال التي هي وسائل، فإن العبادات على قسمين : منها ما هو مقصود لنفسه، ومنها ما هو وسيلة إلى غيره، وفضيلة الوس يلة بحسب فضيلة المتوسَّل إليه، فحيث تعظُم فضيلة المتوسَّل إليه؛ تعظُم فضيلة الوسيلة، ولما كان الجهاد في سبيل الله وسيلة إلى إعلان الإيمان ونشره وإخماد الكفر ودحضه؛ كانت فضيلة الجهاد بحسب فضيلة ذلك. والله أعلم"[3].

وأقل ما يقال أن كون الجهاد في سبيل الله مم ا تنازع العلماء فيه هل هو أفضل الأعمال بعد الفرائض أم غيره يدل على أنه من أفضل الأعمال وإلا لما تنازع فيه العلماء، والآيات والأحاديث في فضله كثيرة تدل على أنه من أعظم القربات عند الله تبارك وتعالى.

ثم إن المؤمن يعلم أنه إذا خرج إلى الجهاد بنية صادقة فإن ربحه مضمون على أي حال كما قال تعالى: **[قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ]** {التوبة:52}

ففي هذه الآية يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمنافقين: هل تنتظرون بنا إلا إحدى خصلتين، وكلتاهما أحسن من غيرهما، إما ظفرًا بالعدو ونصرًا عليهم، وفي ذلك الأجر والغنيمة والسلامة، وإما قتلًا من عدوّنا لنا، ففيه الشهادة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار . وكلتاهما مما نُحبُّ ولا نكره[4]، وبنحو هذا المعنى جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله، ح2786.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، ح1888) من طريق معمر بن راشد عن الزهري به.

[2]- كشاف القناع (1 / 411).

[3]- إحكام الأحكام (ص92).

[4]- تفسير الطبري (14 / 291).

85-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ"[1].

فالله تكفل للمجاهد في سبيله إن هو قتل أن يدخل الجنة كما قال تعالى : **[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**] {آل عمران :169}، وإن هو بقي سالمًا رجع بأجر، أو بأجر وغنيمة معًا [2]، فالذي يخرج للجهاد رابح على كل حال، قال الله تعالى : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ (13)]** {الصَّف:10-13} .

9-التربية على تمني الشهادة وحبها.

إن المؤمن باع نفسه لله تعالى بثمن غال نفيس، إنها الجنة، قال الله تعالى : **[إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُ وَ الفَوْزُ العَظِيمُ]** {التوبة:111} قال ابن القيم: "وأخبر سبحانه أنه (اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ)، وأعاضهم عليها الجنّة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضلَ كتبه المنزَّلة مِن السماء، وهى التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أكّد ذلك بإعلامهم أنه لا أحدَ أوفى بعهده منه تبارك وتعالى، ثم أكّد ذلك بأنْ أمَرَهُم بأن يستبشِروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوزُ العظيمُ.

فليتأملِ العاقِد مع ربه عقد هذا التبايُعِ ما أعظمَ خطَرَه وأجلَّه، فإن الله عَزَّ وجَلَّ هو المشترِي، والثمن جنَّاتُ النعيم، والفوزُ برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقدُ أشرفُ رسله وأكرمُهم، عليه مِن الملائكة والبَشر، وإنّ سِلْعَةً هذا شأنُها لقد هُيِّئَتْ لأَمرٍ عَظِيمٍ وخَطْبٍ جَسيمٍ:

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : **[قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِ دَ البَحْرُ]** {الكهف:109} ، ح7463.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد، ح 1876) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن ال حزامي، عن أبي الزناد به.

[2]- هذا الحديث فيه إشكال، أطال ابن حجر النفس في الكلام عليه . انظر: فتح الباري لابن حجر (6 /8- 10)

قَدْ هَيَّؤوكَ لأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ ... فَارْبأ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرعَى مَعَ الهَمَلِ

مَهْرُ المحبةِ والجَنَّةِ بذلُ النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين، فما لِلجبان المُعرِضِ المُفْلِس وسَوْمِ هذه السلعة، باللهِ ما هُزِلَتْ فَيَسْتَامها المفلسون، ولا كَسَدَتْ فيبيعها بالنسيئة المُعْسِرُونَ، لقد أقيمت للعرض في سُوق مَن يُرِيد، فلم يرضَ رَبُّهَا لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطَّالون، وقام المحبُّونَ ينتظرون أيُّهُم يصلُح أن يكون نفسُه الثمن، فدارت السِّلعة بينهم"[1].

وقد أخبر الله سبحانه أن الشهداء عند ربهم أحياء، في سعادة وفرح، وفي نعيم مقيم، فقال تعالى : **[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)]** {آل عمران:169-171}.

86-عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ -يعني ابن مسعود- عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: **[وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْ زَقُونَ]** {آل عمران:169} قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : "أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ ! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا : يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا"[2].

إن الشهداء لم يجدوا شيئًا يسألونه ربهم تبارك وتعالى، فهم في الجنة يسرحون، وبنعيمها يتمتعون، فلما لم يجدوا شيئًا يسألونه إياه، سألوا الله أن يردهم إلى الدنيا ليقتلوا في سبيله مرة أخرى، وإنه ما مِن أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد.

---

[1]- زاد المعاد (3 / 72-73).

[2]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، ح1887.

إسناده: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْ يَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ - كِلَاهُمَا-، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، (ح) وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ - جَمِيعًا-، عَنْ الْأَعْمَشِ، (ح) وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ-، حَدَّثَنَا أَسْبَاطٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

87- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا -وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ-، إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنْ الْكَرَامَةِ"[1].

إن الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا لا ليمكث فيها، ولكن لكي يقتل مرة ثانية، وثالثة، ورابعة، يتمنى أن يكون له ذلك عشر مرات، لعظيم ما يرى من الثواب والنعيم والكرامة عند الله، ويكفي في الدلالة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم تمنى أن يُقتل في سبيل الله، ثم يرج ع إلى الدنيا ثم يُقتل، ثم يرجع إلى الدنيا ثم يُقتل، ثم يرجع إلى الدنيا ثم يُقتل، وهذا ما كان عليه المجاهدون في معركة الفرقان في غزة، حيث كانوا يتسابقون إلى الجهاد في سبيل الله، فكان الاستشهاديون وكانت النماذج التي يفخر الشعب الفلسطيني.

88- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَلَا أَجِدُ مَا أَحْ مِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّ هِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"[2].

فإذا تمنى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينال الشهادة في سبيل الله مرات، وهو خير البرية، وسيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود، وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن من دونه من أمته أولى بأن يتمنى الشهادة في سبيل الله.

ولقد شرع لنا النبي صلى الله عليه وسلم لا أن نتمنى الشهادة فحسب، بل أن نسأل الله إياها.

89- عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"[3].

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، ح 2817.

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ سَمِعْتُ قَتَادَةَ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة، ح1877) من طريق أبي خالد الأحمر عن شعبة به.

[2]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، ح 2797.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد، ح 1876) من طريق أبي زرعة، عن هريرة به، وهو الحديث رقم (31) نفسه.

[3]- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله، ح 1909.

قال النووي : "فيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نية الخير "[1]، وقد كان الصحابة يتمنون الشهادة، ويسألون الله إياها.

90-عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ : أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ، شَدِيدًا حَرْدُهُ [2]، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ [3]، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْ شٍ ثُمَّ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ [4] أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ"[5].

إسناده: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى – وَاللَّفْظُ لِحَرْمَلَةَ-، قَالَ أَبُو الطَّاهِرِ : أَخْبَرَنَا، وقَالَ حَرْمَلَةُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو شُرَيْحٍ، أَنَّ سَهْلَ بْنَ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[1]- شرح صحيح مسلم (13 / 55).

[2]- الحَرْدُ: الغيظ والغضب. لسان العرب لابن منظور (2 / 824).

[3]- السَّلَب: هو ما يأخذه أحد القِرْنَين في الحرب من قِرْنِه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابّة وغيرها . النهاية في غريب الحديث (2 / 387).

[4]- الجَدْع: القَطْع. لسان العرب لابن منظور (1 / 567).

[5]- المستدرك على الصحيحين (2 / 76-77).

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَنْبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أَنْبَأَ ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ قُسَيْطٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حَدَّثَنِي أَبِي .

تخريج الحديث:أخرجه البيهقي (السنن الكبرى 6/ 307) عن الحاكم به.

وأخرجه أبو نعيم (حلية الأولياء 1/ 108) من طريق أصبغ بن الفرج، عن عبد الله بن وهب به.

وله شاهد مرسل من حديث سعيد بن المسيب أخرجه الحاكم (المستدرك على الصحيحين 3/ 199) ، والبيهقي (دلائل النبوة للبيهقي 3/ 250).

دراسة رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات غير :

-حُميد بن زياد وهو بن أبي المخارق المدني أبو صخر الخراط ويقال : حميد بن صخر، وقيل هما اثنان. (انظر: تهذيب الكمال 366/7، وتهذيب التهذيب 3/36-37).

سئل عنه أحمد فقال: "ليس به بأس" (العلل ومعرفة الرجال 3 / 52)، وقال ابن معين: "ليس به بأس" (تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي ص95)، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم عن عثمان الدارمي، قال ابن معين : "ثقة، ليس به بأس" (الجرح والتعديل 3 / 222)، وقال الدارقطني : "ثقة" (تهذيب التهذيب 3 / 37)، وقال البغوي : "مدني

إن مَن يتمنَّى الشهادة، بل ويسألها ربه، أي حرب نفسية هذه التي يمكن أن ترهبه؟ ! إنه يطلب الموت، ومن يطلب الموت ما عسى عدوه أن يصنع معه؟ ! وهذا ما دفع جنود الصهاينة للقول لا قبل لنا بقتال من يحرصون على الموت، ووزير الحرب الصهيوني : ماذا نفعل مع أن اس يريدون الموت؟

إن أمر هؤلاء لم يتوقف على طلب الشهاة وحسب، بل كانوا يتعرضون للشهادة، بالتغرير بأنفسهم، والانغماس في العدو.

91- عن ابن سيرين: أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه، فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فألقُوني إليهم، فرفعوه برماحهم من وراء الحائط، فأدركوه وقد قتل منهم عشرة[1].

92- عن حبيب بن صبهان[2] قال: قال رجل للمسلمين وهو حجر بن عدي : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو وهذه النطفة -يعني: دجلة- **[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا]**

صالح الحديث" (تهذيب التهذيب 3 / 37)، وذكره ابن حبان في الثقات (6 / 188)، وقال ابن حجر: "صدوق يهم" (تقريب التهذيب ص 274).

أما النسائي فليَّنه فقال : "ليس بالقوي" الضعفاء والمتروكين (ص168)، وروى إسحاق بن منصور عن ابن معين أنه قال: "ضعيف" (الجرح والتعديل 3 / 222)، وروى ابن أبى مريم عن ابن معين أنه قال: "ضعيف الحديث، بصريّ، كان يَروِي ما يُروَى عن أبي حازم، عن عون بن عبد الله، يرويه عن سهل بن سعد الساعدي، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المؤمن مؤالف)، ويروي عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تجالسوا القدرية)" (الكامل في ضعفاء الرجال 269/2)، وتابعه على ذلك ابنُ عدي فقال : "وإنما أنكرتُ عليه هذين الحديثين" ثم قال: "وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيمًا" (الكامل في ضعفاء الرجال 270/2).

قال الباحث: هو صدوق، وكونه أخطأ في حديثين فهذا لا ينزل به إلى درجة الضعف، ورد حديثه، وإنما يرد عليه ما أخطا فيه.

الحكم على الحديث: إسناده حسن، وقال العراقي: إسناده جيد. (المغني عن حمل الأسفار 2 / 1153).

[1]- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص70).

إسناده: حدثني محمد بن حسان بن فيروز نا حجاج بن محمد نا السري بن يحيى عن ابن سيرين.

تخريج الحديث: أخرجه البيهقي (السنن الكبرى 9/ 44) من طريق محمد بن الجهم، عن حجاج بن محمد به.

دراسة رجال الإسناد:

رجاله كلهم ثقات غير أن حجاج بن محمد اختلط، وذلك لا يضره، فقد ذكره العلائي في القسم الأول من المختلطين (المختلطين ص19).

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[2]- كذا، والصواب: حبيب بن صهبان، بهاء ثم نون.

{آل عمران :145}، ثم أقحم فرسه في دجلة، فلما أقحم؛ أقحم الناس، فلما رآهم العدو، فقالوا : ديوان، فهربوا[1].

وتمني الشهادة، والتعرض لها لا يعارض الحديث في النهي عن تمني لقاء العدو [2]، قال ابن حجر : "وحاصل الجواب أن حصول الشهادة أخص من اللقا ء، لإمكان تحصيل الشهادة مع نصرة الإسلام ودوام عزه بكسر الكفار، واللقاء قد يفضي إلى عكس ذلك، فنهى عن تمنيه، ولا ينافي ذلك تمني الشهادة، أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه"[3].

10-التربية على التسليم بقضاء الله وقدره.

إن المؤمن يعلم أن كل شيء يقع في هذا الكون فهو بإذن الله، وبعلمه، وبقدره، فلا رادّ لأمره، ولا مُعَقّب لحكمه، فهو يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، قال الله تعالى: **[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]** {القمر :49} قال الإدريسي: "أي: بتقدير سابق في اللوح قبل وقوعه، قد علمنا حالَه وزمانه قبل ظهوره"[4]، وجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله كتب مقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

1- تفسير ابن أبي حاتم (3 / 779).

إسناده: حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال: سمعت أبا معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن صبهان.

تخريج الحديث: أخرجه الطبري (تاريخ الطبري 2/ 462) من طريق سيف بن عمر والخطيب (تاريخ بغداد 8/ 247) من طريق حفص بن غياث كلاهما عن الأعمش به.

دراسة رجال الإسناد:

-العباس بن يزيد العبدي.

وثقه الدارقطني (تهذيب الكمال 14/ 261)، والسمعاني (تهذيب التهذيب 5/ 117)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال : ربما أخطأ (الثقات 8/ 512).

وقال ابن أبى حاتم : "كتبت عنه مع أبي، ومحله عندنا الصدق " (الجرح والتعديل 6/ 217)، وقال الذهبي : "صدوق" (الكاشف 1/ 537)، وقال ابن حجر : "صدوق يخطيء" (تقريب التهذيب ص 489).

قال الباحث: هو صدوق.

-باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده حسن.

2- تقدم تخريجه برقم (17).

3- فتح الباري (13 / 224).

4- تفسير الإدريسي (7 / 263).

93- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " قَالَ : "وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"[1].

ومعلوم يقينًا أن مما كُتِب أجلُ الإنسان، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

94- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فَرَغَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَثَرِهِ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ[2].

فلن تموت نفس حتى تستوفي أجلها، ولن يموت إنسان وقد بقي له ساعة من عمره، أو أقل من ذلك، قال الله تعالى: **[فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ]** {النحل:61}

قول الله تعالى : {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ } أي أجل موتهم ومنتهى أعمارهم . أو الوقت المعلوم عند الله عز وجل. {لا يَسْتَأْخِرُونَ} عنه ساعة ولا أقل من ساعة؛ إلا أن الساعة خُصّت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وهي ظرف زمان. {وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} فدل بهذا على أن المقتول إنما يُقتل بأجله. وأجل الموت هو وقت الموت؛ كما أن أجل الدَّين هو وقت حلوله. وكل شيء وُقِّت به شيء فهو أجل له . وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحيّ فيه لا محالة . وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه[3].

والمؤمن يؤمن بذلك، ويعلم أنه حق، وهو يعلم أن القتال والجهاد في سبيل الله لا يُنقِص عُمُر أحد، وأن الامتناع عن القتال أو الفرار من أرض المعركة لن يطيل عمره، ولذلك لما استأذن المنافقون النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب بأن يرجعوا إلى بيوتهم – يريدون الفرار من

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح2653.

إسناده: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[2]- مسند أحمد (36/ 54).

إسناده: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ صُبَيْحٍ الْمُرِّيُّ – قَاضِي الْبَلْقَاءِ–، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ تُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

تخريج الحديث: أخرجه الطيالسي (مسند الطيالسي 2/ 327) والبزار(مسند البزار 10/ 73)، وابن حبان (صحيح ابن حبان 14/ 18)، والطبراني (المعجم الأوسط 3/ 272) من طريق يونس بن ميسرة عن أم الدرداء به.

دراسة رجال الإسناد: رجاله كلهم ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

[3]- تفسير القرطبي (7 / 202) و(10 / 120).

الموت–، قال الله في حقهم: **[قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا]** {الأحزاب:16}.

فالله يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء إن فرارهم لن ينفعهم، فلن يؤخر آجالهم، ولن يطول أعمارهم، ثم قال: (وإذًا لا تُمَتَّعُونَ إلا قَلِيلا)، يعني: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم، فلا فرار من الموت، ولا فرار من قدر الله تعالى[1].

وقال الله تعالى تعقيبًا على ما كان من المسلمين يوم أحد : **[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا]** {آل عمران:145}، قال القرطبي: "هذا حض على الجهاد، وإعلام أن الموت لا بد منه وأن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له؛ لأن معنى "مؤجلا" إلى أجل. ومعنى "بإذن الله" بقضاء الله وقدره "[2]. وقال ابن كثير : "أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له ... وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء، وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر، ولا يزيد فيه"[3].

والمؤمن يعلم أن كل شيء مُقَدّر مكتوب، صغيرًا كان أم كبيرًا، فليس أجل الإنسان هو المكتوب وحسب، بل كل شيء مهما دقَّ، أو صغر.

95–عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: "يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[4].

---

[1]– انظر: تفسير الطبري (20 / 228)، وتفسير ابن كثير (11 / 132).

[2]– تفسير القرطبي (4 / 226).

[3]– تفسير ابن كثير (3 / 203).

[4]– سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (منه)، ح2516.

إسناده: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ: (ح)، وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ الْحَجَّاجِ –الْمَعْنَى وَاحِدٌ– عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

تخريجه: أخرجه أحمد(مسند أحمد 4/ 487) من طريق نافع بن يزيد عن قيس بن الحجاج به.

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الضر مهما بلغ من الدقة والحقارة، والنفع كذلك، فإن أحدًا لن يستطيع أن يضرك به أو ينفعك، ولو اجتمعت كل الأمة لذلك، إلا ما كان مكتوبًا ومقدّرًا، وهذا المكتوب المقدر لا يتغير ولا يتبدل، ولذلك قال: (رفعت الأقلام)، "أي: من كتابة الأحكام، (وجفت الصحف)، أي: نَشِف ما دُوِّن فيها من أقضية المخلوقين إلى يوم الدين، فلا يوضع عليها بعد بتدوين شيء وتغيير أمر، وخلاصته أنه كُتب في اللوح المحفوظ ما كُتب من التقديرات، ولا يُكتب بعد الفراغ منه شيئًا آخر، فعَبَّر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة، تشبيهًا بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته"[1].

وإذا كان المؤمن يعلم أنه لن يبلغه أي أذى ولو كان شوكة إلا بإذن الله، مما قدر عليه، فإنه لا يهاب أعداءه، مهما بالغوا في التهويل والتعظيم من قوتهم، أو استخدموا من أساليب الحرب النفسية، فإنه لن يبلغه من الأذى –ولو اجتمعت الأمة كلها لذلك– إلا ما كتب الله عليه.

وقد كان الإيمان بالقضاء والقدر، وانتهاء الآجال، حافزًا رئيسًا للشجاعة والبطولة التي تجلت في معركة الفرقان، وتحصينًا للمقاومة من الحرب النفسية.

12–التعبئة المعنوية.

من المهم في المعارك تعبئة الجنود معنويًّا، أو اتخاذ الأساليب التي ترفع معنوياتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبئ الصحابة تعبئة معنوية.

96– عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ : عَبَّأَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَدْرٍ لَيْلًا [2]. والتعبئة المعنوية تتخذ عدة أشكال، فمن ذلك زرع الأمل في نفوس الجند، بالبشارة بالنصر، وهزيمة العدو،

وأخرجه الحاكم (المستدرك 3/ 541) من طريق عبد الملك بن عمير والطبراني (المعجم الأوسط 5/ 316) وابن الجعد (مسند ابن الجعد 2/ 1184) وعبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد 1/ 484) من طريق عطاء والطبراني (المعجم الكبير 11/ 123) من طريق ابن أبي مليكة ثلاثتهم عن ابن عباس به.

دراسة رجال الإسناد:

قيس بن الحجاج: ذكره ابن حبان في الثقات (7 / 329)، وقال أبو حاتم: "صالح" (الجرح والتعديل 7 / 95)، وقال ابن حجر: "صدوق" (تقريب التهذيب ص 803)، وصحح له الترمذي – كما في حديثنا هذا– ، فهو ثقة، وأما ابن لهيعة فالراوي عنه أحد العبادلة وهو ابن المبارك، ثم هو متابع في الإسناد نفسه من الليث بن سعد.

–باقي رجال الإسناد ثقات.

الحكم على الحديث: إسناده صحيح، وقال الترمذي: حسن صحيح.

[1]– مرقاة المفاتيح (8 / 3324).

[2]– سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الصف والتعبئة، 1677.

ولقد كان للمساجد الدور الأكبر في توجيه الناس وتصبيرهم ورفع معنوياتهم؛ لأن المنبر هو الكلمة الصادقة التي توجه المسلمين في قطاع غزة، فأدرك الصهاينة خطورة دور المساجد فاستهدفوها بالهدم والقصف والدمار، وقد خرج العديد من القادة والعلماء في الداخل والخارج والدعاة والناطقين الذين شحذوا الهمم، بكلماتهم الحماسية ورفعوا الروح المعنوية للمقاومة والشعب الفلسطيني، مستفيدين من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والسير على هديه.

97- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ[1] وَمَسَاحِيهِمْ[2]، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ[3]، قَالَ فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"[4].

قال ابن حجر: "قال السهيلي: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه صلى الله عليه وسلم ل ما رأى آلات الهدم -مع أن لفظ المسحاة من سَحَوْت إذا قَشَّرْت- أخذ منه أن مدينتهم ستخرب، انتهى .

إسناده: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ، حَدَّ ثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَقَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

تخريجه: أخرجه البزار (مسند البزار 3/ 212) من طريق يحيى بن محمد، عن محمد بن إسحاق، عن ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عبد الرحمن بن عوف به

دراسة رجال الإسناد:

-محمد بن حميد الرازي: تقدمت ترجمته، وهو ضعيف.

-سلمة بن الفضل. تقدمت ترجمته، وهو صدوق، ثبت في ابن إسحاق.

-محمد بن إسحاق: تقدمت ترجمته، وهو صدوق، ثقة في السيرة.

الحكم على الحديث: إسناده ضعيف، لضعف ابن حميد، ولانقطاعه بين ابن إسحاق وعكرمة

[1]- المَكاتل: جمع مِكتل، وهو الزبيل الكبير، قيل: إنه يسع خمسة عشر صاعًا. النهاية في غريب الحديث (150/4).

[2]- المساحي: جمع مِسحاة، وهي المجرفة. النهاية في غريب الحديث (2 / 349).

[3]- الخميس: الجيش، سُمّي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام : المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب . النهاية في غريب الحديث (2 / 79).

[4]- تقدم تخريجه (المفاجأة والمباغتة).

ويحتمل أن يكون قال: خربت خيبر، بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك : إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"[1].

ومن التعبئة المعنوية ذِكر ما أعد الله للمجاهدين من ثواب، والشهداء، والتبشير بالجنة.

98- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا[2].

ففي هذا الحديث رفع للمعنويات من وجهين : الأول: التذكير بأن الحياة الحقيقية، والنعيم الدائم، إنما هو عيش الآخرة، والثاني : إنشاد الشعر، إن ذلك يشحن الهمم، قال ابن حجر : " وفيه أن في إنشاد الشعر تنشيطًا في العمل، وبذلك جرت عادتهم في الحرب، وأكثر ما يستعملون في ذلك الرَّجَز "[3].

99- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : ... فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ "، قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ : "نَعَمْ "، قَالَ : بَخٍ بَخٍ [4]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ : "فَإِنَّكَ

---

[1]- فتح الباري (7/ 468)

[2]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، ح2834.

إسناده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب سير، باب غزوة الأحزاب، ح1805) الجهاد والمن طريق معاوية بن قرة، عن أنس رضي الله عنه به.

[3]- فتح الباري (7 / 395).

[4]- بخٍ بخٍ: هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتُكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون فإن وُصلت جُرَّت ونُوِّنت. النهاية في غريب الحديث (1 / 101).

مِنْ أَهْلِهَا" فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ [1]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[2].

لقد كان لبشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة أثرها في تعبئة معنويات الصحابة، حتى أن عمير بن الحمام لم ينتظر إلى أن يأكل التمرات التي كانت في يده، بل ألقاها، ومضى إلى القتال، وقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

ومما تُرفع الروح المعنوية به، أخذ البيعة من الجند وتجديدها.

* عَنْ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ : "يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، أَلَا تُبَايِعُ؟ " قَالَ قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : "وَأَيْضًا"، فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ[3].

وتُرفع الروح المعنوية أيضًا ببث روح التنافس في نفوس ا لجند، وتشجيعهم على القيام بالمهام الموكلة إليهم، ومن ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد حين غشيه الكفار وتكاثروا عليه.

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِ نْ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ [4] قَالَ: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ "، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ : "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ"، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُ ولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ: "مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا"[5][6].

---

[1]– قَرَنِه: أي جُعْبته، ويجمع على أَقرُن وأَقران. النهاية في غريب الحديث (4 / 55).

[2]– صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح1901.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْ دُ بْنُ حُمَيْدٍ – وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ–، قَالُوا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ –وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ–، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

تخريجه: تفرد به مسلم دون البخاري.

[3]– تقدم تخريجه ص18، وتقدم هناك ذكر الخلاف في البيعة هل كانت على الموت أو على ألا يفروا .

[4]– رَهِقوه، أي: غَشوه وقَرُبوا منه. شرح صحيح مسلم للنووي (12 / 147).

[5]– "ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا ": يُروى على وجهين : بسكون الفاء ونصبِ "أصحابنا" على المفعولية، وفتح الفاء ورفع "أصحابنا" على الفاعلية . ووجه النصب : أن الأنصار لما خرجُوا للقتال واحدًا بعد واحد حتى قُتِلُوا، ولم يخرج القرشيان، قال ذلك، أي : ما أنصفت قريشٌ الأنصار . ووجه الرفع : أن يكون المراد بالأصحاب، الذين فرُّوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أُفْرِدَ في النفر القليل، فَقُتِلُوا واحدًا بعد واحد، فلم يُنْصِفُوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَنْ ثبت معه. زاد المعاد (3 / 204).

[6]– تقدم برقم (77).

لقد بث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس من كان حوله من الصحابة في أحد التنافس على الجنة ونعيمها، فقاتلوا الواحد تلو الآخر حتى قتلوا، دون أن يتردد أحد منهم أو يتراجع.

ومن ذلك ما كان في يوم الأحزاب، حينما أراد ا لنبي صلى الله عليه وسلم أن يعرف أخبار المشركين.

* عَنْ يزيد بن شريك التيمي، قَالَ كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ ! لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ [1]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ : "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ : "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ "، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ ... الحديث[2].

ومما يرفع المعنويات ذكر الله تعالى، فبذكره سبحانه، تطمئن القلوب، وتسكن النفوس، وتتنزل الرحمات، والسكينة، قال الله تعالى : **[الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ]** {الرعد:28}، ولقد أمر الله الم ؤمنين بذكر ربهم حين ملاقاة الكفار، فقال تعالى : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]** {الأنفال:45}،

يأمر الله سبحانه في هذه الآية المؤمنين بذكره كثيرًا في هذا الموطن العظيم – عند ملاقاة الأعداء–، "والتلاحم بالرماح وبالسيوف، وهي حالة يقع فيها الذهول عن كل شيء، فأُمروا بذكر الله؛ إذ هو تعالى الذي يُفزع إليه عند الشدائد، ويُستأنس بذكره، ويُستنصر بدعائه "[3]، "إن ذكر الله عند لقاء العدوّ يؤدي وظائف شتى: إنه الاتصال بالقوة التي لا تُغلب، والثقة بالله الذي يَنصر أولياءه . . وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية؛ وإذن فهي معركة لتكون كلمة الله هي العليا؛ لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلا ء الشخصي أو القومي . . كما أنه توكيد لهذا الواجب – واجب

---

[1]– يوم قَرّ، أي: بارد. النهاية في غريب الحديث (4 / 38).

[2]– تقدم برقم (48).

[3]– تفسير البحر المحيط (4 / 498).

ذكر الله– في أحرج الساعات وأشد المواقف . . وكلها إيحاءات ذات قيمة في المعركة؛ يحققها هذا التعليم الرباني"[1].

ومما يرفع معنويات المقاتل، اطمئنانه على من ترك خلفه من أهله وأبنائه، فهو يقاتل دون أن يشغل باله على من خلفه، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

100– عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا"[2].

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن من خَلَف غازيًا في أهله بخير "من قضاء حاجة لهم، وإنفاقٍ عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم"[3]، فقد غزا قال ابن حبان: "أراد به أنّ له مثل أجره"[4].

13–التثبت في الأخبار، وعدم تصديق كل ما يقال.

لقد أمر الله المؤمنين بالتثبت في الأخبار فقال الله تعالى : **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]** {الحجرات:6} ، قال ابن كثير: "يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق؛ ليُحتاط له، لئلّا يحُكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا"[5]، فهذه الآية أصل في التثبت في الأخبار، وعدم قبول الخبر على عواهنه، وهذا من أهم عوامل محاربة الإشاعة، والقضاء عليها، فكثيرًا ما تكون الإشاعة كاذبة أو مبالغًا فيها، ثم إن الله استنكر على من يسارع إلى إفشاء الأخبار، دون التحقق من صحتها، والرجوع إلى الأمراء والعلماء قبل نشرها، فقال تعالى : **[وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا]** {النساء:83} والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئًا من الأمور فيه أمن – نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم–، أو فيه خوف، أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته . فبين

---

[1]– في ظلال القرآن (3 / 1528).

[2]– صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا، ح2843.

إسناده: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، قَالَ : حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي، ح 1895) من طريق بكير بن الأشج، عن بسر بن سعيد به.

[3]– شرح صحيح مسلم للنووي (13 / 40).

[4]– صحيح ابن حبان (10 / 490).

[5]– تفسير ابن كثير (7/ 345).

الله أنهم لو لم يُحَدِّثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به ويفشيه، أو أولو الأمر وهم أهل العلم والفقه، أو الولاة، أو أمراء السرايا، (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه، أي لعلموا ما ينبغي أن يُفشَى منه وما ينبغي أن يُكتم [1]، قال ابن كثير : "وقوله: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة"[2].

101- عن كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ : كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَمَّ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال، وهذا نهي عن حكاية أقوال لا صحة لها [4]، والإكثار من الكلام والإرجاف[5]، فإن سبيل من يفعل ذلك أن يقول: قيل كذا، وقال فلان كذا.

بل إن الله تعالى أمر المؤمنين بالثبات، وإن صح ما أُشيع، فقال جل وعلا: **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَ لَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ]** {آل عمران:144} .

والخلاصة أن المؤمن عليه أن يتثبت في نقله للأخبار، ثم عليه قبل إفشاء الأخبار العامة الرجوع إلى أولى الأمر وأهل الاختصاص، لأن منها ما يجب كتمانه، للضرر العائد من إفشائه، ثم بعد هذا كله فإنه يلزم المؤمنين الثبات حتى ولو كانت الإشاعة صحيحة، وثبت صدقها.

---

[1]- انظر: تفسير القرطبي (5 / 291).

[2]- تفسير ابن كثير (4 / 174).

[3]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: "لا يسالون الناس إلحافًا"، ح 1477.

إسناده: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ ابْنِ أَ شْوَعَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَنِي كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ.

تخريجه: أخرجه مسلم (كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل، ح 593) من طريق الشعبي، عن وراد كاتب الليث به.

رجال الإسناد: كاتب المغيرة بن شعبة: هو وَرَّاد الثقفي، أبو سعيد، وقيل: أبو الوَرْد.

[4]- انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (2 / 271).

[5]- عمدة القاري (9 / 61).

ولقد حافظت المقاومة على كتم الأسرار في معركة الفرقان، حتى جفّ بنك المعلومات لدى الاحتلال، وأصبح في ربكة من أمره واستمر إطلاق الصواريخ والمقاومة، وفشل الاحتلال في تحقيق أهدافه.

ولكذلك حرصت المقاومة على ردع أعداء الأمة من القوى المضادة الخفية، وهم من نسميهم اليوم بالطابور الخامس أو العملاء أو المنافقين، والذين هم أخطر بكثير من خطر العدو الظاهر، لأنهم يحقدون على الأمة ويثيرون الفتن ويروجون الإشاعات ويقتلون الإرادة الإيجابية، فاهتمت المقاومة والأجهزة الأمنية خلال المعركة بملاحقة العملاء والتضييق عليهم، حتى لا يستطيع العدو الحصول على بنك جديد للأهداف، وكان الاستقرار والضبط الأمني بدرجة عالية، حيث لم يسجل اختراق أمني أو تجاوز أو جريمة واحدة أيام المعركة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- لقد عرف الإنسان الحرب النفسية منذ القدم، بل هي موجودة بوجود الإنسان نفسه.
- لا تختلف الحرب النفسية في جوهرها على مر الزمان لكن قد تتطور وسائلها وتطبيقاتها.
- تعد الحرب النفسية من أهم واخطر الحروب وأكثرها تأثيرًا، فإن تأثيرها يكون قبل المعركة وخلالها وبعدها.
- الحرب النفسية هي الأقل تكلفة والأعمق تأثيرًا.
- الحرب النفسية حرب قديمة جديدة استخدمها المشركون ضد النبي صلى الله عليه وسلم، كما استخدمها أعداؤنا ضد أبناء شعبنا.
- اشتمل القرآن الكريم على العديد من الوسائل والأساليب لمواجهة الحرب النفسية، والتي من خلالها جابه الحرب النفسية من قبل المشركين.
- لقد كان الإسلام سباقًا إلى تحصين المجتمع المسلم من الحرب النفسية بل عمل على شن هجوم مضاد أو استباقي على المشركين.
- لقد وضع الإسلام قيودًا وضوابط للحرب النفسية تتوافق مع النظام الأخلاقي للشريعة الإسلامية.
- بينما استخدم أعداء الإسلام الدعاية باعتبارها أبرز أساليب الحرب النفسية، حرص الإسلام على إبراز أسلوب الدعوة الذي يتوافق مع الفطرة، ولا يشتمل على الكذب وتزييف الحقائق.
- إن الحرب النفسية التي يشنها أعداء الإسلام في هذا العصر –ومنهم الصهاينة– على المسلمين وأهل فلسطين خاصة هي امتداد للحرب التي شنها الكفار على الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فالكفر ملة واحدة.

- استخدم الصهاينة العديد من الوسائل والأساليب في حربهم النفسية في معركة الفرقان لكسر إرادة صمود وثبات الشعب الفلسطيني.
- لقد كانت الحرب النفسية في معركة الفرقان الوسيلة الأبرز، والأكثر شراسة.
- لقد نجحت المقاومة في صد الحرب النفسية الصهيونية في معركة الفرقان ومواجهتها، بل قامت بشن حرب نفسية مضادة مستخدمة العديد من الوسائل والأساليب.
- لقد كان للتربية الإس لامية الدور الأساس في مواجهة الحرب النفسية الصهيونية وتحصين المجتمع الفلسطيني منها.
- كان للتربية الإسلامية دور كبير في التكافل الاجتماعي، ومواجهة الآثار الإجرامية للعدوان الصهيوني، وساعدت في صمود وثبات الشعب الفلسطيني.
- صنعت التربية الجهادية الإسلامية لنا جيلًا مقاومًا حريصًا على طلب الشهادة والتضحية بالنفس، دفاعًا عن المقدسات والأمة، مما أفشل مخططات العدو الصهيوني، وحربه النفسية .

التوصيات: يوصي الباحث بما يلي:

- القيام بدراسة تفصيلية للحرب النفسية وتأثيراتها في القرآن والسنة.
- الحرص على التربية الإيمانية التي تحصن المسلم ضد أي حرب نفسية.
- تبصير المسلمين بأهمية وخطورة الحرب النفسية التي يشنها أعداء الإسلام عليهم.

فهرس المراجع

1. استراتيجية الإعلام العربي، سيد عليوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1990م.
2. أسس علم النفس الاجتماعي، مختار حمزة، دار المجتمع العلمي–جدة، 1399هـ.
3. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، 1412هـ.
4. الإعلام الدولي، أحمد بدر، دار القلم–الكويت، الطبعة الثالثة، 1982م.
5. الإعلام في صدر الإسلام، لعبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي–القاهرة.
6. الأماكن –ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة –، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، ت: 584هـ، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.
7. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، دار الكتب العلمية – بيروت، 1986م.

8. الثقات، لمحمد بن حبان البستي ت 354هـ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر- بيروت، عام 1395هـ-1975م.
9. الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت 327هـ، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
10. الحرب النفسية (الكتاب الأول-مدخل عام) لأحمد نوفل، دار الفرقان للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ، 1985م.
11. الرأي العام والحرب النفسية، لمختار التهامي، دار المعارف-القاهرة، 1982م.
12. الزهد ويليه الرقائق، لعبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية-بيروت.
13. السنن الكبرى- ومعه الجوهر النقي- لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت 458هـ، مجلس إدارة المعارف-حيدر آباد، الطبعة الأولى، عام 1344هـ.
14. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ت 303هـ، تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى 1421-2001.
15. السيرة النبوية – عرض وقائع وتحليل أحداث- لعلي محمد الصَّلَابي، دار المعرفة- بيروت، الطبعة السابعة، 1429هـ-2008م.
16. السيرة النبوية –من كتاب البداية والنهاية- لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، 1395 هـ - 1976 م.
17. السيرة النبوية لابن إسحاق، تحقيق : أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ-204م.
18. السيرة النبوية، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت 213هـ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل- بيروت، 1411هـ.
19. الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم) لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ت230، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، 1408هـ.
20. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ت 230هـ، دار صادر – بيروت.

21. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ت 385هـ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة– الرياض، الطبعة الأولى 1405 هـ 1985 م.
22. الفتاوى اللكبرى، لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت : 728هـ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م.
23. الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة– الرياض.
24. الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، ت: 463هـ، تحقيق: محمد مطر الزهراني، دار الهجرة–الرياض، 1418هـ.
25. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت 748هـ، تحقيق : محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة الطبعة الأولى عام 1413 هـ 1992م.
26. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ت 365هـ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي، دار الفكر–بيروت، عام 1409هـ–1988م.
27. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر–القاهرة، الطبعة الثانية.
28. المجالسة وجواهر العلم ، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية–البحرين، ودار ابن حزم–بيروت، 1419هـ.
29. المختلطين، لأبي سعيد العلائي، المحقق : رفعت فوزي عبد المطلب وعلي عبد الباسط مزيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى عام 1996م.
30. المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت405هـ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة –بيروت.
31. المصنف ومعه جامع معمر بن راشد، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، 211هـ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية 1403هـ.

32. المُصَنَّف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق : محمد عوامة، دار القبلة – السعودية، الطبعة الأولى 1420– 2006.

33. المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ليوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلَطي الحنفي، عالم الكتب–بيروت.

34. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت 360 هـ، تحقيق : طارق عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحُسيني، دار الحرمين– القاهرة، 1415 هـ.

35. المعجم الأوسط، لأبي القا سم سليمان بن أحمد الطبراني ت 360 هـ، تحقيق : طارق عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحُسيني، دار الحرمين– القاهرة، 1415 هـ.

36. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت 360هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية .

37. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ، 2004م.

38. المغازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي ت 207هـ، تحقيق : مارسدن جونس، مكتبة عالم الكتب–بيروت.

39. المغني عن حمل الأسفار في الأسفلو، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية– الرياض، 1415هـ – 1995م.

40. المغني في الضعفاء، لمحمد بن أحمد الذهبي ت 748هـ، تحقيق : نور الدين عتر، دار الفكر–سوريا.

41. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الش يباني، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.

42. المنتخب من مسند عبد بن حميد لعبد بن حميد، تحقيق : مصطفى بن العدوي، دار بلنسية– الرياض الطبعة الثانية،2002م.

43. المنتقى شرح الموطا، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وار ث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت : 474هـ، مطبعة السعادة– بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، 1332 هـ.

44. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بي روت، 1399هـ – 1979م.

45. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، تحقيق : مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005م.
46. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل- بيروت، 1973م.
47. إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق : يحيى إسماعيل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
48. أحوال الرجال للجُوزجاني، لأبي إسحاق إبر اهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجُوزجاني ت:259هـ، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، حديث أكادمي، فيصل آباد - باكستان.
49. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، ت : 468هـ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان ،دار الإصلاح - الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ ، 1992 م.
50. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري ت 630هـ، تحقيق : عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1417 هـ - 1996 م.
51. أصول الإعلام الإسلامي، لإبراهيم إمام، دار الفكر العربي-القاهرة.
52. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مكتبة النار الإسلامية، 1401هـ، 1981م.
53. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت.
54. تاريخ ابن معين - رواية الدوري- لأبي زكريا يحيى بن معين ت 233هـ، تحقيق : أحمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي-مكة المكرمة، عام 1399هـ-1979م.
55. تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.
56. تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ت 463هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م.
57. تاريخ دمشق -تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل- ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت 571هـ، المحقق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت، 1995م.

58. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة- الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ.
59. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لأحمد بن علي بن محمد بن حجر ال عسقلاني تحقيق إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر . بيروت الطبعة الأولى . 1996م.
60. تفسير ابن أبى حاتم- تفسير القرآن العظيم- ، للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا.
61. تفسير ابن كثير، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث-الجيزة، الطبعة الأولى، 1412هـ ، 2000م.
62. تفسير الإدريسي –البحر المديد- ، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ال حسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، 2002م-1423هـ.
63. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق : زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
64. تفسير البغوي – معالم التنزيل -، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
65. تفسير البيضاوي –أنوار التنزيل وأسرار التأويل-، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
66. تفسير السعدي –تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- ، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000 م.
67. تفسير السمعاني – تفسير القرآن- ، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق : ياسر بن إبراه يم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن- الرياض، 1418هـ- 1997م.

68. تفسير الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، ت 310هـ، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420 – 2000 .

69. تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم– بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ–1996م.

70. تفسير الفخر الرازى، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، دار إحياء التراث العربي.

71. تفسير القرطبي –الجامع لأحكام القرآن –، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب– الرياض، 1423 هـ–2003 م.

72. تفسير الماوردي –النكت والعيون–، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية– بيروت.

73. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة– القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ–1995م.

74. تفسير مجاهد ، للإمام مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية–بيروت.

75. تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ، تحقيق : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة.

76. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ، دار الفكر– بيروت، عام 1404هـ–1984م.

77. تهذيب الكمال، ليوسف بن عبد الرحمن المزي ت 742هـ، تحقيق : بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الأولى ، 1400هـ – 1980م.

78. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر–بيروت، الطبعة الثانية، 1988م.

79. حاشية السندي على النسائي، لمحمد بن عبد الهادي أبي الحسن السندي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية–حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ– 1986م.

80. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت 430هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى 1409هـ- 1988م.

81. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى1408هـ.

82. ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، للإمام الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: محمد شكور أمرير الميادينى، مكتبة المنار–الزرقاء، 1406هـ.

83. زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أي وب الزرعي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية– الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ، 1415هـ – 1994م.

84. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: 942هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ – 1993م.

85. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: 942هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 1414 هـ – 1993 م.

86. سنن الدارمي – مسند الدارمي– ، لعثمان بن سعيد الدارمي ت 280هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني–الرياض، الطبعة الأولى، عام 2000م.

87. سنن النسا ئي بشرح السيوطي وحاشية السندي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الشهير بالنسائي ت303هـ، حققه ورقمه: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة – بيروت

88. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت 275هـ، تحقيق: صدقي محمد العطار دار الفكر–بيروت، 1999.

89. سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة، لعلي بن المديني ت 234، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، 1404هـ.

90. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي ت 748هـ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة عام 1413هـ.

91. شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد–الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م.

92. شرح صحيح مسلم – المنهاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ.

93. شرح مشكل الآثار للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت 321هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت 1408هـ- 1987م.

94. شرح معاني الآثار، لأحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى 1399هـ.

95. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي ت 354هـ، ترتيب: علاء الدين علي بن بَلبان الفارسي ت 739هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية، عام 1414هـ، 1993م.

96. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ت 311هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، عام 1390 هـ 1970م.

97. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 256هـ، تحقيق :محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة–بيروت، الطبعة الأولى، عام 1422هـ.

98. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ت 261هـ، تحقيق: صدقي محمد العطار، دار الفكر- بيروت 2003.

99. طبقات المدلسين، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار – عمان، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.

100. علم النفس الاجتماعي حامد زهران، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1977م.

101. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي–بيروت.

102. غريب الحديث، لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.

103.غريب الحديث، للإمام ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد، تحقيق : عبد الله الجبوري، مطبعة العاني–بغداد، الطبعة الأولى، 1397هـ.

104.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر.

105.في ظلال القرآن ، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق– بيروت والقاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.

106.فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ– 1994 م.

107.كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

108.كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن–الرياض، 1418هـ – 1997م.

109.لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت 711هـ، المحقق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف –القاهرة.

110.متن البخاري بحاشية السندي، دار المعرفة–بيروت، 1978م.

111.متن الخرقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، لأبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي، دار الصحابة للتراث، 1413هـ–1993م.

112.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ت 907هـ، دار الفكر، بيروت ، عام 1412هـ.

113.مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426 هـ–2005 م.

114.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإ ياك نستعين، لابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة الثانية، 1393هـ – 1973م.

115.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، ت: 1014هـ، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ – 2002م.

116.مسند ابن الجعد، لعلي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي، تحقيق : عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، مكتبة الفلاح–الكويت، الطبعة الأولى، 1985م.

117. مسند الإمام أحمد بن حنبل ت 241هـ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الأولى، عام 1416 هـ 1995م.

118. مسند الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي ت 204 هـ، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر– مصر الجيزة، الطبعة الأولى.

119. مسند إسحاق بن راهويه، للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي تحقيق : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي مكتبة الإيمان – المدينة المنورة الطبعة الأولى ، 1412 – 1991.

120. مسند أبي عوانة، للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني ت 316هـ، دار المعرفة – بيروت.

121. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي ت 307هـ، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث– دمشق، عام 1404هـ–1984م.

122. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت544، المكتبة العتيقة–تونس، ودار التراث–القاهرة.

123. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت.

124. مقاييس اللغة، لأب الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

125. مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن–القاهرة، 1411هـ–1990م.

126. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى.

127. ميزان الاعتدال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت 748هـ، المحقق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجو د وغيره، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الأولى، عام 1416هـ 1995م.